السنة السابعة عشرة العدد ٤ نيسان ١٩١٤

المشرق

ديوانان جديدان

لعَبيد بن الأبرَص وعامر بن الطُّفَيل *

نظر للاب انطون صالحاني اليسوعي

اتحفنا حضرة العلّامة العامل سِر تشارلس لِيل بكتاب جليل بل بدرَّة ثمينة غاصَ عليها حتى استخرجها من بحر المكنونات العربية فجلاها واهداها الى طالبي لآلئ اشعار الجاهليّة ·

يحتوي هذا الكتاب ديوان عَبيد بن الأبرَص السَّعْديّ الأَسَديّ وديوان عامر ابن الطُّفَيل العامريّ

فنشكر لِسر لِيل هديَّتهُ ولطفه ونثني على جدّهِ وهمّتهِ التي لا تعرف الملل · فانهُ على تقدّمهِ في العمر لا يزال يُفيد العربية ورجالها بما ينشرهُ من المؤلفات النفيسة ويحييه من الآثار الدارسة · فهذا كتاب المفضليات وهو مجموع قصائد اختارها المفضَّل الضّبّيّ للخليفة المهدي مع تفسير واسع لابي بكر محمد بن القاسم الانباري يسعى اليوم في طبعه بمطبعتنا العلّامة لِيل موضّحاً معمَّياتهِ بما يُشبع عليهِ من انوار علمهِ بحواشٍ وافرة تنقشع معها غيوم الريب · وقد تجز منهُ نحو ٧٠٠ صفحة بقطع كبير · والامل وطيد انهُ يفرغ من طبعه بعد مرور سنة · وهذا المؤلَّف من انفع ما طُبع الى الآن لمعرفة اللغة واسرارها

ولم يُلهِهِ هذا الشغل الشاغل عن طبع ديواني عبيد بن الابرص وعامر بن الطفيل

* The Dīwāns of 'Abīd ibn al-Abras, and 'Amir ibn at-Tufail, edited and translated by SIR CHARLES LYALL. *Leyden, Brill*, 1913.

كان عبيد بن الابرص رجلًا مُقِلًّا لا مال لهُ. الّا انهُ كان حُرًّا شريف النفس ابيًّا كما يتَّضح ممَّا خاطب بهِ المنذر بن ماء السماء وممّا قالهُ في شعره عن البخيل. فانهُ في القصيدة التي مطلعها:

أرِقتُ لضوء برقٍ في نَشاصِ تلألأ في مُمَلَّأةٍ غِصاصِ

قال:

لعمرك إنني لأعِفُّ نفسي وأستُرُ بالتكرُّمِ من خَصاصِ
وأكرم والدي واصون عِرضي وأكرَهُ ان أُعَدَّ من الحِراصِ
إذا ما كنتَ لحّاساً بخيلًا سَؤولًا للمُطاعِ وذا عِتاصِ(١
يُزادِ المرء آبَصَ من عُقابٍ وعند الباب أثقلَ من رَصاصِ
بكى البوّابُ منك وقال هل لي وهل للبابِ مِن ذا مِن خَلاصِ
فيُوشِكُ ان يراك لهُ عَدوًّا عداوةَ من يُلاطِمُ او يُناصي
اذا ما كان عِرضي عند بطني فأين مِنَ أنْ أُسبَّ بهِ مَناصي
فان خفتَ لجوع البطنِ رجلي فدقَّ اللهُ رجلي بالمَعاصي

وجاء في اول ديوانهِ ما نصّهُ:

«وكان من حديث قتلهِ انّ المنذر بن ماء السماء بنى الغرِيَّيْن. فقيل لهُ: ماذا تريد بهما. (وكان بناهما على قبري رجلين من بني اسد كانا نديميهِ احدهما خالد بن نضلة الفقعسي وكان أُسِر يوم جبلة والآخر عمرو بن مسعود). فقال: ما انا بِملكٍ إن خالف الناس امري الّا يمرّ احد من وفود العرب الّا بينهما. وكان لهُ في السنة يومانِ معروفانِ يوم بؤسٍ ويوم نعمة. فكان اذا خرج يوم بؤسهِ يذبح فيهِ اوّل من يلقاه كائناً من كان. واذا خرج في يوم نعمتهِ يصل اوّل من يلقاه ويحبوه ويُحسِن اليهِ. فبينا هو يسير في يوم بؤسهِ اذ اشرف لهُ عبيد. فقال لرجل ممن كان معهُ: مَن هذا الشقي. فقال لهُ: هذا عبيد بن الابرص. فأُتي بهِ. فقال لهُ الرجل: ابيت اللعن اتركهُ فانّ عنده من حسَن القريض افضل مما تُدركه في قتله مع ما انهُ من رؤساء قومه واهل النجدة والشأن فيهم. فاسمع منهُ وادعُهُ الى مدحك فان سمعتَ ما يعجبك كنت

١) نظن الصواب «سَؤولًا للمتاعِ وذا مِعاصِ». والمتاع المال وكل ما يُنتفع بهِ من عروض الدنيا قليلها وكثيرها. والمِعاص الوعاء الذي تكون فيهِ النفقة

قد عفت له الجُمَّةُ فانَّ مدحتهُ الصنيعة. فان لم يعجبك قولهُ كان هيّناً (١ عليك قتله. فاذا نزلنا فادعُ بهِ. قال فنزل فطعم وشرب. وبينهُ وبين الناس حجاب يراهم منهُ ولا يرونهُ. فدعا بعبيد من وراء الستر. فقال لهُ رديفه: ما ترى يا اخا اسد. قال: ارى الحوايا عليها المنايا. قال: فهلّيك بالخروج لهُ ليقرّبك ذاك من الخلاص. قال: ثكلتك الثواكل انني لا اعطي باليد ولا أحضِر البعيدَ والموتُ احبُّ اليَّ. قال: اقتلتَ شيئاً. قال: حالَ الجريضُ دون القريض. قال لهُ المنذر انشدني من قولك «اقفر من اهلهِ ملحوبُ». وهذه القصيدة من جيّد شعر عَبيد وهي من السبع المجمهرات. قال عبيد:

اقفر من اهله عَبيد فليس يُبدي ولا يُعيدُ

قال: انشدنا ايضاً. فقال:

هي الخمر تكنى بامّ الطلاء كما الذيبُ يكنى ابا جعدةِ

فقال: قل فيَّ مديحاً يسير في العرب. قال: امّا والصَّبّارُ في ما عجل فلا. قال: نُطلقك ونحسن اليك. قال: امّا وانا اسيرٌ في يديك فلا. قال: نردُّك الى اهلك ونلتزم رفدك. قال: امّا على شرط المدح فلا... قال لهُ المنذر: يا عبيد ايُّ قتلةٍ احبُّ اليك ان اقتلك. قال: ايها الملك روّني من الخمر وافصدني وشأنك وشأني. فسقاه الخمر ثم اقطع لهُ الاكحل. فلم يزل الدمُ يسيل حتى نفد الدمُ وسالت الخمر فمات.»

وقال صاحب الاغاني: «عبيد بن الابرص شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية وجعلهُ ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية وقرن بهِ طرفة وعلقمة بن عبدة وعديّ بن زيد. وكان شاعر بني اسد غير مدافع». ولا نعلم السنة التي مات فيها عبيد لكن من المؤكد انهُ مات قبل السنة ٥٥٤ الميلادية لانهُ في تلك السنة توفي المنذر بن ماء السماء قاتل عبيد

امّا عامر بن الطفيل ويكنى ابا عليّ فهو ابن عمّ لبيد الشاعر وكان فارس قيس وكان اعور ذهبت عينهُ يوم فَيف الريح ولم يُعقِب. وكان لهُ فرس يقال لهُ المزنوق وفيه يقول:

---

١) أثبتَ في الديوان «مَنِيّاً» وهو تصحيف

وزجرتُ المزنوقَ حتى رمى بي وسطَ خيلٍ ململمةٍ فابذعرَّتْ

وقال ايضاً واجاد :

وقد علِمَ المزنوقُ اني أكرُّهُ عشيَّةَ فيفِ الريحِ كرَّ الشهْرِ
اذا ازورَّ من وقعِ الرماحِ زجرتُهُ وقلتُ له أرجعْ مُقبلاً غيرَ مُدبرِ
وانبأتهُ ان الفِرارَ خزايةٌ على المرء ما لم يُبلِ عُذراً فيُعذَرِ
ألستَ ترى ارماحَهم فيَّ شُرَّعاً وانتَ حِصانٌ ماجدُ العِرقِ فاصبرِ

وأبو عامرٍ هو فارسُ قُرزُلٍ . ولما كبرَ عمُّهُ عامر مُلاعب الأسنَّة وأُهتِرَ تنازع عامر بن الطفيل وعلقمة بن عُلاثة الجعفريان في الرئاسة حتى تنافرا الى هَرِم بن قطبة بن سيَّار الفزاري واربد بن قيس . ولعلقمة يقول الاعشى :

ان تَسُدِ الحُوصَ فلم تَعدُهم وعامرٌ سادَ بني عامرِ

والحُوص ولد الاحوص . ومن جيّد شعره قولهُ :

فإني وان كنتُ ابنَ فارسِ عامرٍ وفارسَها المَندُوبَ في كلِّ مَوكِبِ
فما سوَّدتني عامرٌ عن قرابةٍ ابى اللهُ أن أسمو بأمٍّ ولا ابِ
ولكنَّني أحمي حِماها واتَّقي أذاها وارمي مَن رماها بِمَنكِبِ

ورد في اول ديوانهِ ما نصهُ :

كان ابو عليٍّ عامر بن الطفيل من اشهر فرسان العرب بأساً وشدَّة ونجدة وابعدها اسماً حتى بلغ بهِ ذلك ان قيصر كان اذا قدم عليهِ قادمٌ من العرب قال : ما بينك وبين عامر بن الطفيل . فان ذكر نسباً عظُمَ بهِ عنده . حتى قدم عليهِ علقمة ابن عُلاثة فانتسب له . فقال : انت ابن عمِّ عامر بن الطفيل . فغضب علقمة وقال : اراني لا أُعرَف الّا بعامر . فكان ذلك مما اوحرَ صدره عليهِ وهيَّجهُ الى ان دعاه الى المنافرة . وكان عمرو بن معدي كرب وهو فارس اليمن يقول : ما أُبالي ايَّ ظعينة لقيت على ماء من امواه معدّ ما لم يلقَني دونها حُرَّاها او عبداها . يعني بالحُرَّين عامر بن الطفيل وعُتَيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعي . والعبدانِ عنترة العبسي والسُلَيك بن السُلَكة . . . قال ولما مات عامر بعد منصرفه عن النبيِّ صلعم نصبت عليهِ بنو عامر انصاباً ميلاً في ميل حِمًى على قبرهِ . لا تدخله ماشية ولا تَنتشر فيهِ راعية ولا ترعى ولا يسلكه راكب ولا ماشٍ . وكان جبَّار بن سلمى بن مالك بن عامر بن جعفر

غائباً. فلما قدم قال: ما هذه الانصاب. قالوا: نصبناها حتى على قبر عامر. قال: ضيّقتم على ابي عليّ... وله وقائع في مذحج وغطفان وخثعم وسائر العرب. وكان عامر مع شجاعته سخيّاً حليماً،

وكان شاعراً مجيداً. قال الاصمعيّ «وكان عامر بن الطفيل يُلقّب مُحبّراً لحسن شعره» وعاش عامر بضع سنوات بعد الهجرة وعُرض عليهِ الاسلام فأبى لانهُ كان غير هيّاب ولا وجب الجنان.

ومَن طالع قصائد عَبيد وعامر تحقّق ان شعر عبيد اكثر تفنُّناً بينما شعر عامر يقتصر على الفخر وذلك لانهُ كان فارساً مغواراً وابن حرب كمنترة. فقد قال في قصيدة:

لقد تعلمُ الحربُ أني ابنُها ... وأني الهُمامُ بها المُعلِمُ
وأني أُحلّ على رَهوَةٍ ... من المجدِ في الشرَف الاعظمِ
واني أُشخِصُ بالدارعين م في ثَورة الرَهج الأقتمِ
واني اكرُّ اذا أحجموا ... باكرَمَ من عطفةِ الضَيغَمِ
واضربُ بالسيف يوم الوغى ... أقُدُّ بهِ حَلَقَ المُبرَمِ
فهذا عَتادي لوَ أن الفتى ... يُعمَّرُ في غيرِ ما مَهرَمِ
وقد عَلِمَ الحيُّ من عامرٍ ... بأنَّ لنا ذِروَةَ الأجسَمِ
وأنّا المصاليت يوم الوغى ... اذا ما العَواوِيرُ لم تُقدِمِ

وفي هذا النزر كفاية لتعريف قدر الشاعرين

*

وقد عوّل العلّامة لِيل في طبع شعر عبيد وعامر على نسخة وحيدة لا تُعرف لها ثانية. وقد بيعت في بيروت سنة ١٩٠٧ لمكتبة المتحف البريطاني بلندن وتوسم في قائمة مخطوطاتها العربيّة بالعدد ٦٧٧١ وعدّة اوراقها ١١٩ وتاريخ كتابتها سنة ثلثين واربعمائة هجرية وتشتمل على اربعة دواوين: شعر الطُفَيل بن عامر من الصفحة ١ الى ٢٩ وشعر عامر بن الطُفَيل من ص ٢٩ الى ٦٠ٖ وشعر عبيد بن الابرص من ص ٦٠ٖ الى ٨٦ٖ وشعر الطِرِمّاح بن حَكيم من ص ٨٦ٖ الى آخر النسخة

وقيل ان تباع هذه النسخة كانت في يد احد الرهبان الموارنة من الرهبانية الانطونيانية. فتصفّحناها وتشوّقنا الى اقتنائها وشرائها منهُ لكنهُ أكّد لنا عزمه على طبعها. فلم نلحّ عليهِ ببيعها . ولمّا بلغنا ان مكتبة المتحف البريطاني اقتنتها سُررنا بذلك ايّ سرور لعلمنا ان ما تقتنيه المكاتب الاوربية يصان من الضياع والتلف وان ما يطبعهُ المستشرقون نجتني منهُ ثمارًا شهية بخلاف ما يُطبع في كثير من البلاد العربية طبعًا سقيمًا عقيمًا خاليًا من الروايات والحواشي والحركات مشحونًا بالتصحيف والتحريف فانهُ يزيد عدد المطبوعات دون فائدة تُذكر بل يضرّ بالمنفعة اذ يردع العلماء الاوربيين عن طبع تلك المؤلفات . فانّنا بفقد بلادنا النسخة التي نتكلم عنها قد ربحناها وها هي ذاعت وضاعت وما ضاعت . فما كاد يعرف جهابذة المستشرقين وجودها حتى تاقوا الى مطالعتها وشُغفوا بدرسها وانصبّوا على تفهم معانيها وهمّوا بنشرها . فعُني العلّامة ليل بطبع ديوان عبيد بن الابرص وعامر ابن الطفيل وذلك على نفقة الجمعية المعروفة بجمعية جيب التي غايتها إحياء وتخليد ذكر جيب بنشر المطبوعات المفيدة وقد خصّصت والدته لهذا العمل ثروة وافرة. ويُعنى العلّامة كرنكو بطبع شعر الطفيل بن عوف والطرماح بن حكيم . والامل وطيد انهُ يتوفق الى انجاز العمل وينجح فيهِ كما نجح العلّامة ليل مع ما اعترضهُ من الصعوبات الناشئة عن عسر قراءة النسخة الخطية . وقد تحقّقنا هذه الصعوبة لدى اطلاعنا على الاربع الصفحات المأخوذة عن النسخة الاصلية بتصوير الشمس والمثبتة في الكتاب المطبوع . فترى اكثر الحروف المعجمة خالية من النقط فضلًا عن ان الاحرف العين والغين والفاء والقاف متشابهة في نوع رسمها من جهة الغلظ والتدوير وخلوها من النقط فلا يمكن تمييزها عن بعضها الّا بمعنى العبارة وكثيرًا ما تكون العبارة غامضة مبهمة فتتعذر القراءة

ويظهر ان النسخة سُطرت في المغرب او اقلّه بيد احد الكتبة المغاربة . يتضح ذلك من رسم حرفي الفاء والقاف . فالاول رُسم مع نقطة تحتية والثاني مع نقطة واحدة فوقية . وهي الطريقة المتبعة عند اهل المغرب . وكذلك حرف الطاء فانّ السطر العمودي فيهِ يميل ميلًا مفرطًا الى اليمين كما يرى في الخطّ المغربي ويكاد لا يُميَّز عن حرف الكاف المرسوم سطحيًا . وقد زاد الطين بلّة احدُ السوريين المطلع على

النسخة اذ توخى اصلاح تنقيط حرفي الفاء والقاف فترك النقط القديمة ورسم في بعض الالفاظ نقطاً جديدة على الطريقة المتبعة عندنا في هذين الحرفين

واذا لحظنا الصفحات المرسومة بتصوير الشمس رأينا الالفاظ الّا ما ندر خالية من الضبط بالحركات. لكن يظهر مما اثبتهُ طابع الكتاب في الحواشي نقلاً عن الاصل ان كثيراً من الالفاظ إن في الابيات وان في الشرح مضبوطة بالحركات لكن بعضها غير محكم الوضع او مخالف للقواعد الصرفية والنحوية . ولا تخلو النسخة من السهو والتصحيف والتحريف والغلط. فكل ذلك يجعل قراءتها صعبة جداً خاصةً لما يتضمن الشعر الجاهلي من الالفاظ التي هي غريبة بعد الطور الجاهلي ومن الاعلام المجهولة والتلميحات الى امور ووقائع جرت لا علم لنا باخبارها

ومن ثمَّ فالعلّامة ليل هو اهل بكل ثناء لانهُ انتصر على هذه الصعوبات فشمّر عن ساعد الجد ولم تثبط عزمه وعورة الطريق . وكلٌّ يعلم ان الشعر القديم اذا كانت نسختهُ غير جلية ولا متقنة ولا معجمة وكانت النسخة وحيدة كاد يكون نشرها بالطبع من المستحيلات وفي هذه النسخة شرح وافٍ لديوان عامر يشمل كل الابيات. اما في ديوان عبيد فانهُ وجيز يكتفي بتفسير بعض الابيات ولا يشفي الغليل لان الشارح يقتصر على تفسير الالفاظ في البيت دون ان يؤدي معناه وبعض الاحيان يخطئ المرمى. وهو مع ذلك جزيل الفائدة اذ يساعد على قراءة الالفاظ غير المعجمة وادراك معناها. الّا ان القصائد الثلاث المثلة بتصوير الشمس هي خالية من الشرح وهذا مما يزيد صعوبة قراءتها وضبطها وتفهّم معانيها اللهمَّ في بعض الابيات. ولا نعلم مَن روى وشرح شعر عبيد. اما شعر عامر فان النسخة الخطية تنبئنا انهُ رواية ابي بكر محمد بن القاسم الانباري عن ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب. فالعلّامة ليل لم يألُ جهداً في اكمال العمل لجمع ما امكنهُ من الروايات المتفرقة في الكتب العربيّة وخصوصاً كتاب مختارات الشعراء الذي يثبت في ٢١ صفحة اثنتي عشرة قصيدة لعبيد بن الابرص. فهذه الروايات المتعددة ساعدت طابع الديوان على تصحيح القراءة وضبط الالفاظ بالحركات وسهّلت له استخراج المعاني. ولم يكتف حضرته بضبط الابيات ومعظم الشرح بالشكل الكامل بل علّق الحواشي الوافية ونقل معنى الابيات الى اللغة الانكليزيّة وكتب بهذه اللغة مقالتين

ضافيتين بيّن فيهما الحوادث والظروف التي تقلّب فيها عبيد بن الابرص وعامر بن الطفيل الامر الذي يسهّل على القارئ فهم قصائدهما. واضاف الى كلا الديوانين ما عثر عليه متفرّقاً في الكتب العربية من الاشعار المنسوبة الى هذين الشاعرين ولا وجود لها في ديوانيهما . واردف كل ديوان باربعة فهارس الاول للقوافي والثاني لأعلام الناس والثالث لاعلام الامكنة والرابع للالفاظ اللغوية الواردة في الديوانين . فجاء الكتاب تحفة من التحف بل مورداً عذباً صافياً يرده العلماء نهالًا فيستقون منهُ سجالًا

ولا عجب بعد ما ذكرنا عن حالة النسخة الاصلية وصعوبة قراءتها أن بقي في الكتاب بعض الالفاظ والعبارات المبهمة التي تحتاج الى زيادة التدقيق في كتابتها وحركاتها وتحقيق معانيها

*

وتبياناً لذلك نورد بعض الامثلة من ديوان عَبيد متتبعين الصفحات والاسطر :

١٢، « بالتلاتل » اي بالشدائد. وفي نسخة الاصل « باليأليل » ولا معنى لها. الّا اننا نفضل القراءة « بالبلابل » ومعناها ايضاً الشدائد. لان تصحيفها باللفظة « باليأليل » اقرب

١٤، « وشرابُهُم ذو فضلةٍ وَمُخَنَّبُ » . نظنّ الصواب « ومُعَنَّبُ » اي غليظ. جاء في اللسان (٢ : ١٢٢) « اذا كان القطران غليظاً فهو مُعَنَّبُ » . امّا تفسير الشارح : « ويقال المُخَنَّب من الشِراء الذي لم ينضج ثم أُعيد فتدخّن ففسد » فهذا الشرح يستلزم الرواية « ومُجَنَّبُ » لانهُ نحّيَ عن النار. ولا يبعد ان تكون الرواية « وَمجنَّبٍ » مع الاقواء معطوفاً على « فضلة »

١٥، « من كل محمود السراة مُقلّصٍ قد شفّهُ طولُ القيادِ وألغبوا » في نسخة الاصل « وأنعَبُ » . واللفظة « وألغبوا » أُثبتت عن مختارات الشعراء. الّا انهُ لا يظهر الى ايّ شيٍ يعود ضمير الجمع. فضلًا عن ان معنى الغبوا اي أعيوا لا يوافق في البيت. فنفضّل القراءة « ومِنعَبُ » قطع فرفع. وكذلك ضبط صاحب مختارات الشعراء في « مقلص » قطع فرفع وروى « ومُقلّصٌ » . « فرس منعَب جواد يمدّ عنقهُ » (ل ٢ : ٢٦٢)

١٨,[١١] « والعُفْرَة ». في نسخة الاصل « العبره ». نظن الرواية « والغَبرة » اي لون الغبرة

٢٠,[١] « اقوت القوم ». في الاصل « اقوت الرجل والقوم ». عندي ان الرواية « اقوى الرجل والقوم »

٢٢,[١٢] « وتَلُفُّ بين ارامل الايتامِ ». ارتاب العلامة ليل في صحة الرواية « وتلفّ ». وسبب ارتيابه هو انّ اللفظة نفسها ترد في البيت التالي « حتّى تَلُفُّ ضِرامَها بِضِرامِ ». الّا ان « تلفّ » الثانية وردت بمعنى مختلف متفرّع عن المعنى الاصلي. قال في القاموس: « لَفَّ الكتيبتين خلط بينهما بالحرب » فمعنى لفّ الاول جمعَ وضمَّ. ومنهُ يتفرّع المعنى الآخر. ومن ثمَّ « حتى تَلُفَّ ضرامها بضرام » معناه: حتى يَلتحِمَ القتالُ وتُضرِمَ نيرانَ الحرب. هذا كما قال الاخطل ١٦١,[٤]:

ولقَدْ تَرُدُّ الخيلَ عن اهوائها وتَلُفُّ حدَّ رِجالِها بِرِجالِ

٢٨,[١٢] « حتى تنوشك نوشةً عاداتِهنَّ اذا انتوينا ». نظن الصواب « عاداتُهنَّ » بالرفع. اي هي عاداتُ رماحنا ان تنالك

٣١,[١٢] « لها بعد إشرافِ المبيط نَشيجُ » لا معنى هنا للفظة « اشراف » وهي تصحيف « إتزاف » تؤيّد هذا القراءة اللفظة « انزاح » التي في المختارات وهي بمعنى الانزاف. — « دَفُوعٌ ». والصواب « دَفُوعٌ »

٣٤,[٦] ارتاب العلّامة ليل في هذه العبارة في قول الشارح « وقوله بما قد طباك هاهنا في موضع رب » ولعلّ الشارح اراد ان « بما » مختزلة من « رُبّما » كما يجري في بعض الالفاظ. راجع الاخطل ١٦٩,[٢] « أمسَتْ مَناها بارضٍ . . . » وقال شارحه « مناها منازلها ». ولا نقول ان الشارح اصاب. الّا انّنا اردنا تفسير عبارته

٣٥,[١] « وكم مِن اخي خصمٍ تركتُ وما بهِ اذا قالَ في اي الكلامِ نُحُوضُ » اي وما بهِ نُحُوضُ. الّا انّنا نفضّل القراءة « نُحُوضُ » . والّا بقيت الجملة « في اي الكلام » ناقصة

٣٥,[٤] « فولَّيتُ ذا مجدٍ وأعطيتُ مِسحَلًا حُساماً بهِ شَغْبُ الألدِّ نُهُوضُ » نفضّل القراءة « شَغْبَ الالدِّ نَهيضُ » اي نصدع ونكسر شغبهُ

٣٥,١ « ابي الشبل بعد العراكِ عَضُوضٍ » لا حاجة الى الاقواء . ويُمكن تعليل الرفع « عَضُوضُ » اي هو بعد العراكِ عضوضُ

٥١,٣ « تَرَاعَاهَا » لم نجد في الامهات اللغوية هذا الوزن بمعنى رعى بل رعى وارتعى وتَرَعّى . ومن ثم أرى ان تُقرأ « تَرعَّاها » . وفي المختارات « تَرعاه » ويلزم ان تُقرأ « تَرَعَّاهُ »

٥٥,٢ « وكلّ ما جاءك من شيء فقد عداك اي شَغَلك الخَتِيل » . « جاءك » في الاصل كتبت « جيبك » ونظن القراءة « جنبك » اي دفعك وابعدك

٦٢,١٢ « بان الخَلِيطُ الأُولَى شاءُوك إذ شَحَطُوا » . « شاءوك » كُتبت في النسخة الاصلية « شاوك » وفي رأينا ان القراءة « شَأَوْكَ » . « شآني الامر مثل شماني وشاءني مثل شاعني اذا حزنك » . « شآني الشيء شأياً حزنني وشاقني » (ل ١٩ : ١٤٥)

٦٣,١ « أيامُ نَحنُ . . . » والصواب « ايامَ نحنُ . . . »

٦٣,٢ « فَالعَيشُ مُنْبَسِطٌ » . كتب في النسخة الخطية : « بالعس » = بِالعَيشِ

٦٣,٣ « وَالدَّهرُ مِنهُ على التَّخيِيفِ والفُرُطِ » . وفي النسخة الخطيـة : « على الحيف والفَرَطِ » . والقراءة الصحيحة : « عَلَيَّ الحيفُ والفُرُطُ » . والقافيـة في هذه القصيدة مضمومة . « والفُرُط الظلم والاعتداء » (ل ٩ : ٢٤٣)

٦٣,٦ « فَوَرَدَتْ ماءَ يجزعٍ عن شمائلها » . رُسم في النسخة الخطيـة : « مد بحكـ » والقراءة هي « قَدْ نَكَبَتْ » عوض « فوردت »

٦٣,٦ « قَدْ تَمارَتُوا فَرَحَ الأوتادِ او وَسَطُوا » . في النسخة الخطية « فرح الاوتاد » . نظن القراءة الصحيحة « فُرَجَ الأَوْتادِ » . ذات الاوتاد اسم مكان (راجع الهمداني صفة جزيرة العرب ١٠٦,١)

٦٣,١١ « حادي الأُدْمِ مُغْتَبِطُ » . في النسخة الخطية : « عارى اللحم ممط » . في رأينا ان القراءة الصحيحة هي : « عاري اللَّحمِ مُعْتَبِطُ » يصف الشاعر حادي الابل . او « مُعتَبِطُ » من « عَبَطَ الحمار التُّرابَ بحوافره اذا اثاره » (اللسان)

٦٤,٦ « إذْ هُمْ سَخِطُوا » في النسخة الخطية : « ان هم سخط[وا] »

٦٤,٨ « لا تَنادُ طِيَتُهُمْ » . في النسخة الخطّية : « لا يماد طيتهم » . مع

كرسي اليا. والتا. فقط. الا ان ما بين نقطتي اليا. فُرجة اوسع مما يلزم. وكذلك ما بين نقطتي التا.. فالقراءة الصحيحة « لَا تَنْآدُ طِيَّتُهُمْ » او : لا تُنْتَادُ طِيَّتُهُمْ. والطِيَّة الوجهة — « ما بِقَولهمِ خُلْفٌ ولا مَيْطُ » . في النسخة الخطية ترى ثلاث نقط قبل حرف الطاء. ونظن القراءة الصحيحة « نَشْطُ » اي انهم اذا ابرموا الامرَ لا يُحَلُّ

٦٤,[10] « وَمُبْتُوا العَقْدِ ان عَقَدُوا » . في النسخة الخطية : « وسمرا العد » = « وَثِيقُوا العَقْدِ » وهي القراءة الصحيحة

٦٤,[12] « وأيدٍ بالندى سَبِطُ » وفي النسخة الخطية : « واىدىاالندى سـط » وعندي ان الرواية هي « وايدٍ بالندى بُسُطُ » . « ورُجل بسيط اليدين مُنبسِطٌ بالمعروف . . . والجمع بُسُط » (اللسان)

٦٥,[11] « إذا ما باص لاحَ بصَفحَتيهِ وَبَيْضَ . . . . » « وَبَيْضَ » كتبت في النسخة الاصلية « وبيض » . الا ان الرواية الصحيحة هي « وَبِيصٌ » اي بَرِيقٌ وهو فاعل لاح

٦٦,[2] « او ملاصُ » . لا نجد في الاصل اثرًا للألِف في الكلمة « او » . ونظن القراءة الصحيحة « ذو مِلاصٍ » « يقال جارية ذات شماصٍ وملاصٍ » (اللسان في مادة شمص وملص) . وهكذا نُكفَى ايضاً مؤونة الاقواء .

٦٧.[16] « بَعْدَ أَنْتِقالٍ » . في الاصل « الال » والصواب : « بَعْدَ المَآلِ »

رحلة

مُحَمَّد سَعِيد بَاشَا إلى باريس

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

وفي مدينة باريس قد يوجد ايضاً عندهم مرتباً شكلُ ملعوب خصوصي يسمونه اوپاره (l'Opéra) يلعبون فيه بصناعة عجيبة وتجتمع اليه اناس كثيرة من اكابر وارباب الدولة ومديرين المملكة يذهبون اليه دفعات شتّى حتى والسلطان ايضاً

يذهب اليه بعض الاوقات يحضره. وهكذا نحن اردنا ان نمضي ونتفرج على هذا اللعوب فمضينا الى قرب سراية الوصيّ وصي السلطان (le Régent)

وكان هذا المكان مخصوصاً للعب وكانت فيه مجالس شتى وكراسي مختصة بالناس كل واحد على حسب مرتبته عالٍ ووسط وواطئ فأجلسوني في المقام الذي كان السلطان معتاداً ان يجلس فيه وكان مغشّى بالذهب والمخمل الاحمر. واتى الوصي ايضاً ليحضر اللعب وهَمْ (١ لاجل خاطري وجلس في مقامه واخيراً ذلك المكان امتلأ من الخلق من رجال ونساء اكابر. وكان هناك من آلات الموسيقى شيء كثير انواع آلات طرب وكان هذا في اول ساعة من الليل

فعند ذلك سكروا الابواب واظلموا المكان وشعلوا الشموع الكثيرة من شمع دهني وعسلي وكافور بكثرة تفوق الوصف وزيّنوا ذلك المكان في هذا الوقت اكثر من غير الاوقات لاجل حضوري هناك وكان سقفه ودرابزوناته وعواميده كلها مذهبة وايضاً النساء الذين اتوا كانوا كلهم (اللواتي اتينَ كنّ كلهنّ) بثياب ديبا (٢ مرصّعة بالاحجار الثمينة ونور الشمع الذي كان في ذلك المكان كان يزيد رهجة تلك الاثواب والاحجار للغاية ولم اقدر اصف حسن ذلك المكان مع رهجته وتلك الثياب ورهجتها بكفاية. وكان سترٌ موضوعاً في وجه الجمع كله في موضع اللعب. فبعد ان حضر الناس وجلس كل واحد في مكانه رفعوا ذلك الستر فظهر من خلفه سراية عظيمة وفي صحن تلك السرايا كان موجود اصحاب اللاعب رجال ونساء جميعهم بلباس مرصّع وكانت النساء عشرين بالعدد فائقات بالحسن والجمال وبثياب خصوصيّة فزادت شمشمة ذلك المكان حتى كاد يخطف النظر وعادت الاوپاره شبه اتون نار مشتعلة وبدأوا يغنّون جميعهم بالسوية مع دقة آلات الطرب المتنوعة حتى كان الانسان بالكاد يقدر يميز بين الاصوات وبين صوت الآلات ثم ابتدأوا يرقصون مدّة من الوقت وبدأوا في الاوپاره

اعلم ان مادّة هذه الاوپاره ولعبها هو شكل حكاية الّا انّ تلك الحكاية

---

١) لفظة حليّة بمعنى: كذلك

٢) الديبا صنف من الديبا يراد به انسجة حريريّة مُعلّمة ومنقوشة ويقال ديباء وديباج وكلها من الفارسيّة

يُجرونها في الاوباره كانها شيء حقيقي قائم حالًا · وقد جعلوا لهذه الاوباره ثلاثين حكاية كل حكاية بكتاب وكل كتاب له اسم وفي كل جلسة يقلدون حكاية من هذه الحكايات وهو شيء يبهر النظر ويدهش العقل لانَّ الناظر يظن ان الشيء حقيقي

والجلسة التي كنا نحن بها تلك الليلة كان مضمونها هذا وهو ان سلطان عشق ابنة سلطان مثله فطلب ان يتزوجها من ابيها امَّا البنت فكانت عاشقة ابن سلطان غيره وكانوا يقلدون في المرسح جميع ما كان يصدر بين السلطان والبنت فاذا مثلًا كان السلطان يقصد الذهاب الى البستان بستان البنت حالًا تلك المراية الموجودة في الاوبارة تتغير بسرعة ويصير عرضها بستان مملوء اشجار ليمون ونارنج وغير اشجار · وعندما يقصد الملك ان يزور كنيسة ليقدم تضرعًا وصلاة ترى في دقيقة واحدة ذلك البستان يتوارى ويعود كانهُ كنيسة كاملة · اخيرًا الملك والبنت التجأا الى امرأة ساحرة وعرافة فالسلطان لكيما يجذب هذه البنت الى محبته والبنت لكي تبغض السلطان فيها حضرت هذه المرأة الساحرة الى الوسط واظهرت من السحر والافعال اشياء وحركات مختلفة شيء يبهر النظر لانها احيانًا تظهر نيرانًا ساطعة واحيانًا تظهر صور شياطين وحينًا اشكال حيوانات غريبة ووقتًا تظهر قتالًا بين عساكر بشر وشياطين منهم خيَّالة ومنهم زلام · وكنا نشاهد اناسًا تنزل وتنحدر من السماء داخل الغيوم والسحاب وغيرهم كانوا يطيرون من الارض الى ناحية الغيوم · فنتيجة الكلام انها اظهرت اشياء عجيبة واموردًا غريبة ورعودًا وبروقًا وامطارًا حتى ان الذي كان يرى هذه الاشياء لا يظنها الَّا حقيقيَّةً ولا يصدق السامع بهذه الاشياء ما لم يَرَها لانها اشياء غير مصدَّقة بالعقل · فرأيت هذه الاوباره شيئًا عجيبًا وكانوا يظهرون حالات العشق كلها على مجراها وانواعها بهذا المقدار من اللياقة والصناعة حتى ان الذي كان يشاهد توَلُّق السلطان نحو هذه البنت واوضاع هذه البنت نحو السلطان كان ينحلّ من البكاء لحسن صناعة هذه الاوباره · وكان الناظر والمعتني بهذه الاوباره رجلًا من كبار مدينة باريس وهو من الاغنياء · لان هذه الاوباره تحتاج الى مصاريف عظيمة ولكن جعلوا منها جزءًا كبيرًا الى خزينة السلطان لان الفائدة الناتجة منها عظيمة تفوق مصاريفها بشيء كثير وهذه الاوباره مختصَّة بمدينة باريس

المرقص الملكي

فبعد ان تفرّجنا على هذا المرسح الذي استقام حكم ثلاث ساعات عدنا راجعين الى مكاننا وبعد كم يوم اتى الى عندي مُدخل القصّاد وأخبرني : « انهُ مزمع ان يصير مرسح آخر في سراية السلطان واذا ذهبتَ اليهِ فانك تنشرح كثيراً لانك مزمع ان تجلس مع حضرة السلطان في مكان واحد . وعن يمين السلطان يكون اقرباؤه وعن شمالهِ قصّاد الملك وانك ستتقدّم على جميعهم بجلوسك جانب السلطان » . فشكرتُ فضله وفضل السلطان كثيراً ووعدتهُ انّي احضر لان هذا غاية اربي ان احظى بمباشرة حضرة الملك وانني ارى مثل هذه المفترجات التي لا تصير عندنا

فثاني الايام ارسل المُدخل واحداً من اتباعهِ يدعوني فمضيت الى سراية السلطان فبعد ان تغدّينا وتعشّينا هناك عند مدبّر السلطان ادخلونا عند المساء الى ديوانخانة اخرى بجانب تلك الديوانخانة التي للملك وهذه الديوانخانة مختصة للرقص وللجمعيات وهي واسعة ومكلّفة اكثر من الاولى التي رأيناها واحسن من التي رأينا بها المرسح لان حيطانها كلها من المرمر الابيض الرخام ومطليّة بالذهب بصناعة عظيمة عجيبة ومزيّنة بتصاوير ونقوش تفوق العقل وداخلها اربع صفوف كراسي كل صف اعلى من الصف الآخر حتى الى السقف والدرابزين كذلك جميعها من الرخام الابيض المطعّم بالذهب . وفي الاخير درابزينان مقابل بعضها من الرخام الازرق الذي هو بلون البحر وهو مزوّل له ذهب . وكل شيء موجود في هذه الديوانخانة كان هكذا جميلاً حتى انهُ يشرح القلب والنظر

وكانت نساء الاكابر جملةً اتت (اتينَ) الى تلك الخانة بلباس متفرّق بالجواهر وكل واحدة منهن لها مكان معيّن لها تجلس فيهِ . وحين وصولي رأيتهم جاؤوا بكرسي الى السلطان وجاؤوا بكرسي آخر ووضعوه عن يسار كرسي السلطان وجلستُ عليهِ عن يسار الملك وكان من الخلق في هذا المكان، اكثر من الذين كانوا في الاوبارة الاولى وكلهم اكابر الدولة ونساء الاكابر . ففي اثناء ذلك قدم السلطان وجلس على كرسيّهِ وعلى يمينهِ جلستْ ابنة عمهِ وجانبها ابنة عمه ايضاً اختها بثياب لا توصف متفرقة بالجواهر واليواقيت وجلستُ انا في جانب الملك الايسر

وكان في وجه الاوبارة ستر بديع منقوش يأخذ العقل فحين رفعوه رأيت صحن

سراية وفيه اشخاص وانفار بغاية الجمال وهم على صور الملائكة يرقصون. ورأيت شمساً وقمراً كأنهما حقيقيان والشمس طالعة على وجه الشرق وجرم الشمس وشعاعها كان من الذهب المموّه وكان جرم الشمس قدر صينيّة مصنوعة بصنعة تفوق العقل واشعتها لا تقصر عن اشعة الشمس. وخلف هذه جملة شموع لا تعدّ ولا تحصى تلتهب وكانت اشعة الشمس تأتي من هذه الشموع كأنها اشعة خارجة عن الشمس. وكان هناك ارباب الموسيقى فهؤلاء بدأوا يلعبون في آلاتهم والاشخاص القائمون في صحن المرسح بدأوا يرقصون وهم كلهم تقليد اولاد الاكابر والامراء والمشايخ جميعهم اقران بعضهم في القدّ والقامة واللبس والكسوة والصورة والسنّ. وكانوا يرقصون بالنوبة ثمانية ثمانية منهم في زي لبس مخصوص بالرقص وهو مزركش بالتيل (القصب) والحرير انواع مختلفة واثوابهم كلها ديباج وفي رؤوسهم كانوا مشكلين بالريش المصبوغ وكان هذا الذي يزيدهم حسناً وجمالاً وكان يمدّ في حسنهم كثيراً. ومنهم كانوا بزيّ مضحك وكل ثمانية كانوا نوعاً غريباً عن الآخر ومخالفاً. وكانوا قلّدوا في ذلك المرسح رجلاً باع بستاناً وآخر اشترى. وظهر في البستان قتيل واحضروا الرجل البائع امام السلطان فحكم عليه بالقتل وغير اشياء لا يقدر الانسان ان يصفها الا بالنظر

زيارة السفير لقصر سان قلو

فبعد ان تمّ المرسح قدر ثلاث ساعات رجع السلطان الى مكانه وانا كذلك توجهت الى محلي. فبعد يومين حضر الى عندي الوصي وعرض عليّ: «ان هنا سراية بعيدة عن البلد مقدار ساعة تسمى سانقلوا (١ حيث كانت الست والدة السلطان ساكنة وان هناك بستاناً شرحاً ومنتزهاً ومكان يجب ان تراه». فقبلت منهُ ووعدتهُ انني امضي

ففي اليوم الثاني توجهنا صحبة الوصي من المدينة الى هناك ومضينا فكان طريقنا كلهُ اشجاراً مقصوصة ومهندمة اشكالاً واراضي كلها مفروشة بانواع الزهور والمروج. فمن الطريق لم أرَ لهُ شبيهاً الى ان دخلنا الى ذلك البستان المكنّى بالسراية فرأيته في مكان اطيب امكنة الارض من الترقيع والانشراح. ثم دخلنا

١) سان قلو (Saint-Cloud) بلدة شهيرة بقصر شيّدهُ الملك لويس الرابع عشر وحدائقها الغنّاء.

وتفرّجنا على سائر الارض من مكان الى غيره وكانت سائر الاماكن ملبسة باثواب مقصبة من خالص القماش ومزينة بانواع التحف والقطع والتفاريق التي يعجز عن وصفها اللسان شيء لا يحصى

فبعده باشروا لنا بالغداء هناك ثم انزلونا بعد الغداء الى بستان السراية وذهبنا الى بركة محاطة بالاشجار الغليظة الشامخة في دائر ذلك الحوض وفي وسط الحوض المذكور فوّارة والماء طالع منها نحو مزراق غليظ الى علوّ الاشجار وفوقها باكثر من قامتين فسألتهم عن قوّة هذه الفوّارة وعن علوّها كم تبلغ من العلو. فقالوا انها تبلغ في العلو الى مائة وخمسين قدماً اي علو خمسين ذراعاً لكن رشّ هذا الفوّارة كان عجيب جداً لانّ في شروق الشمس فوق الحوض كنت ترى قوس قزح كاملاً لا فرق فيه وقد اكّدوا لي ان في بلاد فرنسا جميعها لم يوجد فوارة تشبه هذه

ثم رأينا حوضاً آخر كبيراً جداً وفي وسطه فوّارة تعلو قدر قامة انسان غلظ خشبة غليظة ودائر هذه البركة من سائر الحيوانات والطيور من النحاس المطلي بالذهب. فاذا اطلقوا الماء الى ذلك الحوض ترى كل حيوان وطير ينطق مثل لغاته بلا فرق. وحوض آخر من الرخام الابيض في مكان مرتفع قليلاً وكان عليه من النقوش شيء لا ينطق فيه لسان وكان في وسطه قدر ستة فوّارات وكان فيه تنين فاتح فاه يبتلع كل ذلك الماء. وكنا ننظر كل هذه الاشياء بانشراح عظيم لانهُ شيء غير منظور لمثلنا كل وقت

وفي هذا البستان كانت اشجار كثيرة وجميعها على علوّ واحد متّصلة ببعضها كالحائط ومقسّمة على سقاية عدة من الاشجار متساوية في بعضها واغصانها النافذة الى الخارج كانت كلها مقصوصة على السواء بهذا المقدار من الصناعة حتى كان يظن انها بناءة واحدة. والبستان عرضهُ مسافة اربع ساعات وطولهُ قدر ست ساعات ونحن ركبنا عربانة وتنزهنا فيه مقدار ثلاث ساعات ورجعنا

زيارة السنيور ليدون وورسالية

فبعد ذلك الوقت تشاورت الجماعة ان يمضوا بنا الى سراية اخرى تسمى وورسالية (Versailles) التي لا شبيه لها ولا نظير في العالم باسره (١ وغب المداركة الكلية

١) ڤرسالية مدينة قريبة من باريس كان يسكنها ملوك فرنسة وزانوها بالقصور والمتاحف

وقعنا في الحيرة ثم اعتمد الرأي اننا نذهب. فانتقلنا برفقة اتباعنا الى نحوها. وفي الطريق التي تقود اليها يوجد سراية اخرى عظيمة معظمة لدى السلطان وحولها بساتين حسنة للغاية ويسمون هذا الموضع ميدون (Meudon) (١ وقد كانوا انتخبوا هذا المكان واختاروه لكي نتغدّى به وهكذا اتفق الرأي اننا تغدينا هناك ومكثنا وغنا تلك الليلة هناك بكل فرح وسرور

وفي غد ذلك اليوم باكرًا عزمنا على المضي الى ورسالية وزرنا هذا المكان المكنّى بميدون فان فيه سراية يعجز كل انسان عن وصفها وبهائها وهي مبنية في مكان مرتفع شامخ كنا ننظر منها كل مدينة باريس فبعد الغداء والنوم دخلنا الى عربانة حضرة السلطان لكي نروح الى ورسالية وكنا نسير في العربانة وانا اتأمل في ترتيب الاشجار وفي الامكنة المتنزهة حقًا ان محاسن تلك الاماكن التي لا يقدر الانسان على وصفها أنستني البستان مع زخرفته وترتيبه الفائق الذي كنت رأيتهُ هناك لان هذا المكان يشبه جنّة الارض ولو كان في الدنيا جنّة لقلتُ ان هذه هي الجنة فمكثنا في ميدون الى حدّ وقت العصر وذلك الوقت وجّهنا سيرنا الى ورسالية

وقريب المساء وصلنا الى سراية ورسالية فهذه السراية هي بغاية الجمال وبناؤها عجيب من اعجب شيء في الدنيا وهي تشرح القلب والخاطر وتدفع الهمّ وتزيل الغمّ واني كأخرس اللسان ومتعذر البيان عن وصف اوصافها ولا القليل عنها لانها اعجب شيء يوجد في العالم وكل انسان يصفها بايّ نوع كان فهو كاذب لان شرح وصفها لا يمكن اصلًا

ففي صباح اليوم قدم الى عندي القورتورينه (٢ اي الموكّل على البستان وسألني: « هل لك خاطر ان تتفرج على البستان ». اجبتهُ: « نعم لي خاطر ولهذا اتيت » فالًا قدموا لي كرسيًا على بكرتَين وكانت تسحبهُ اربعة انفار الى مكان متميّز عن سراية الملك وفيه اشجار كثيرة شرحة تشرح الخاطر رؤيتها وتفرح الناظر وهي

١) قرية قريبة من باريس موقعها بينها وبين فرسالية وهي شهيرة بقصر ابتناهُ لويس الرابع عشر واخربهُ اصحاب الثورة

٢) هذه الكلمة مصحّفة لعلهُ اراد الجَرْدِنْيه (Jardinier)

مقسّمة على مرور المياه وكل ممرّ شكل وهو مكان لا يوصف وجميعها متناسبة في الطول والغلظ والعلو والقدّ كانها شجر واحد وفي موضع منها يوجد حوض صغير وداخله فوّارات من طوج (١ كل فوارة منها بصورة حيوان مختلفة والماء يخرج منهم باصواتهم كل حيوان حسب صورته وعددهم تسعة وثلاثون فوّارة وكل واحدة تدل على حكاية وقد وضعوا على قفاهم الواحاً سطّروا فيها تلك الحكايات المقصودة منهم

فمن هناك اتينا الى مكان آخر وهو مزين باثنين وثلاثين عاموداً من الرخام ومن كل عامود يخرج فوارة تسكب ماء على ثخن اصبع · وايضاً ذهبنا الى حوض آخر كبير جداً في وسطه مائة وخمس وثلاثون فوّارة والواحدة التي في الوسط ينفذ منها الماء الى علو اربعة وعشرين قدماً وبقيّة الفوّارات كل واحدة اوطأ من رفيقتها · وخروج الماء من هذه الفوارات على هذا الحال يشبه شجرة سرو مصنوعة من فضّة لاجل بياضها النقي · وخروج الماء من هذه الفوارات بغلظ باهم غليظ

ومن هنــاك سرنا الى موضع آخر فيه حوض سائر حيّاته من السأقي الاحمر والاخضر وله درابزين من السأقي الاحمر والاخضر وهذا الدرابزين مطوّق باطواق من الذهب الابريز النقي المصنوع بصنائع عجيبة ومن طرفيه كانت تخرج مياه على علو مائة وعشرين قدماً من غير الشادروان (٢ الذي في بستان سان قلو وما رأينا مثل هذا قطّ · وبما ان الماء يصعد فيه بعزم عظيم كان هبوطه كمثل شجرة حين يهبط وكانت المياه تنفش وترغي كثيراً على شكل شجرة من فضة

ومن هناك انتقلنا الى مكان واسع كثيراً وكان فيه حوض اكبر من الجميع وكانت تسير فيه قوارب على عشرة مقــاذيف وكان مركباً عليه صفّان فوارات ينسكب فيه الماء اثخن من باهم · وعندما يقصدون ان يُلعبوا هذه الفوارات كانوا يجعلونها تصعد وتنزل في اطراف الحوض مثل اشجار البستان على كم شجر السرو وغيره بصناعة عجيبة · ويوجد ايضاً في ثلاثة امكنة ثلاث فوارات وفي كل واحدة منها خمسة عشر لولباً كانت تنفذ منها المياه بعزم زائد ليس على خط مستقيم بل شبه النّشّابات تميل وتنحني الماء بصناعة عجيبة الى كل جانب

---

١) الطوج لفظة تركيّة هي الشبّه او البرونز
٢) الشادروان تركيّة اصلها من الفارسيّة ومعناها الحوض والفوّارة

وسرنا ايضاً الى حوض آخر كبير وفي وسطه شادروان كبير قدر قصر صغير وعلى اطرافهِ أكثر من مائة شخص جيرانات من طرج مصنوعة ومصفوفة بصناعة عجيبة حتى كان في خروج الماء منهم تسمع لهم اصواتاً تلذّ السامع . وكنّا نتفرج على هذه الفوارات بشوق عظيم لانها اعجوبة لطيفة ذات سرور جزيل . وقد يوجد ايضاً احواض في ورسالية مصنوعة بانواع مختلفة ما رأيت في زماني مثلها ولا شاهدت . وهذه المياه التي تتسكب من سائر الفوارات جميعها تجتمع في آخرها عند طرف البستان على شكل نهر عظيم وهو شكل صليب ويمرّ خارجاً من البستان

وفي هذا البستان يوجد ايضاً عمارات كثيرة مكلّفة جداً . وعلى اطراف ورسالية توجد سرايات ومن جملتها سراية اخرى يانوم (١ ففي الغد ذهبنا الى هذه السراية وبما انها مبنية على النهر الذي يخرج من ورساليه لزم اننا نذهب اليها بقارب وهو القارب الذي يركبه السلطان وهذه السراية معمّرة على طبقة واحدة بخلاف عادة بلادهم وبستانها ايضاً شكل عجيب والفسقيّات التي بها بكثرة وهي كذلك عجيبة حتى لم اقدر اصفها

فبعد اننا رأينا هذا جميعهُ رجعنا الى القارب وعبرنا فيهِ الى جانب النهر الايسر وفي منتهاه كذلك سراية اخرى داخلها الاصلانخانه (٢ الوحوش والطيور وبها من سائر الوحوش والطيور وبها ايضاً تماثيل الوحوش والطيور من الاحجار . وقدّام هذه الاماكن يوجد ميدان مدوّر وفي وسطه حوض وفوّارة ويحيط بهما دار بدوّرها حائط من حجر وفي نصف هذا المكان قصر عالٍ مبنيّ بناء عجيباً وعلى جانبه معمّر ستة اوض صغار وكنا نخرج من الواحدة وندخل الى الاخرى وهي مزينة بسائر النقوش وغاية الصناعة احسن من الصناديق الهنديّة وكلها مفروشة بالطنافس المشغولات بانواع الصرما (٣ . ومن هذا القصر يقدر الانسان يشاهد كل الوحوش والطيور الموجودة هناك في اماكنها . ولمّا كنت هناك في ذلك الوقت لم يكن موجوداً من الوحوش الّا القليل بل اني رأيتهم بصورهم جميع الوحوش التي توجد

---

١) اسم مصحّف للفظة يريد قصر لويس الرابع عشر المسمّى تريانون (Trianon)

٢) لفظة تركيّة لم نجدها في المعاجم. ولعلّ صوابها اسلانخانه بدلًا من ارسلانخانه اي مكان الاسود والسباع

٣) الصرما او الصرمة تركيّة معناها الاسلاك المعدنيّة الرفيعة من ذهب او فضّة

عندهم وهي اشكال غريبة. وجميع الطريق التي بين القصر وخانات الوحوش كانها كانت مرصّعة بالاحجار المتنوعة وبين تلك الاحجار عملوا شبه قساطل ماء مخفية رقيقة غير ملحوظة حتى اذا ما فتحوها كان يصدر منها فرجة للناظرين حتى ان الحاضرين هناك كانوا يتفرقون من رشّ ذلك الماء ويفتكرون من اين هذا الماء لانهم يغرقون ولم يروا ماء. وكيفما مالوا كان الماء يلحقهم ولما كنّا نحن مارّين من هناك عملوا ذلك مع البعض من اتباعنا ولواحقنا الذين ما اعلموهم بالحال. وايضاً رأينا هناك اشياء اخر مدهشة للعقول بغير عدد

وبعد ذلك في غد ذلك اليوم ذهبنا لكي نشرف بستاناً اخر للسلطان يقال له مارلي (١ فيه سراية معمرة في جانب النهر الشرقي الذي في ورسالية وهو مكان شرح وجميل واقدر اقول ان لا نظير له في الحسن والصنعة واظن انهُ اجمل جميع ما رأيتهُ في السابق. ورأيت في بعض الاماكن اشجاراً لطيفة مصطنعة واغصانها مقبية مصفوفة على الجانبين فوق بعضها بعض وتراها كانها قبو اخضر مرتفع جداً وكان كلما يطير في الهواء من الطيور وكلما يدبّ من الوحوش تحت هذا القبو لا يمكن ان ينفذ منهُ مطروح. وابدعوا ايضاً من تلك الاشجار قلالي ومربعات بابوابها ولوازمها جميعها من اوراق تلك الاشجار بصفة القصّ. وكنت ترى تلك الاشجار كلها بجملة الاشكال والصور فنوناً فنوناً شيء يقصر عن العقل وهذا كلهُ كان مصنوعاً بترتيب وصناعة ودقة عقل هذا حدّهُ حتى ان الناظر كان ينسرّ من النظر الى هذه الاشياء ولو مهما كان مغموماً فانهُ بنظره الى هذه الاماكن كان ينسى الغمّ والهمّ جميعهُ

وبعد هذا رأينا من قدّام وجه السراية سلّماً من الرخام الابيض عدده ستون درجة مبني للارتقاء. وذلك السلم واسع بهذا المقدار حتى ان عشرة انفار تصعد عليه الواحد بجانب الآخر يمكنهم الصعود عليهِ وعلى كل عشر درجات منهُ فوارتان يصعد منها الماء على طرفي الدرجة العاشرة. وآخر السلم تراه مملوءاً فوارات يصعد منها الماء وهذا السلم المذكور يؤدي الى بركة كبيرة وترى المياه تجري وتتدفق منها

١) مارلي (Marly) قرية في ربض باريس شهيرة بأبنيتها الملكيّة وحدائقها وكانت هناك آلة ذات منجنونات واربعة عشر دولاباً تصعد الماء الى علو ١٦٢ متراً فيجري في قساطل الى قصر ورسالية وهي تُعرَف بآلة مارلي (Machine de Marly)

بصناعة هذا حدّها حتى ان الناظر اليها يرى منها صفة سلّم من البلور صاعد من الفوارة وغير ممكن ان اصف الانشراح والسرور الذي يصير للناظر اليه

وقد اصطنعوا ايضاً سلّماً اخر بـ٢٥ درجة في موضع اخر وعلى كل طرف منهُ توجد لوالب مختلفة تنسكب المياه منها بسرعة هذا عظم خروجها حتى انها تنشئ رغوة عظيمة وقد يبان من هذه الرغوة كشبه سلم ثانٍ وفي ذلك منظر جميل وحسن في الغاية

وفي موضع آخر توجد فوارة اخرى غليظة بهذا المقدار كغلظ الانسان مصنوعة من رخام ابيض ملتصق على وجهها ومن فوقها صنم واحد قائم والماء خارج من بين الفوارة والصنم فكانّ المياه في خروجها تصور قبة جامع صغيرة ولم نتمتّع بمنظر مثلهُ ابداً. على انهُ في تلك السراية بوك ونوافر كثيرة عجيبة غير اني لم أرَ مثل هذه النوفرة المذكورة البتة

وبما ان البستان هو في موضع عالٍ مرتفع فغير ممكن ان الواحد يصدّق كم من آلات استعملوا وكم من دراهم صرفوا ليأتوا بالماء من المكان المدعو «سين» الذي هو اوطأ من المكان المذكور بـ١٥٠ ذراعاً ولم يمكن ان اصف الحذاقة مع الصناعة التي قد استعملوها ليصعدوا الماء الى موضع عالٍ بهذا المقدار ولاجل ذلك فانهم قد اقاموا عدّة متاريس لاجل صدم المياه وجريانها وقد عملوا ١٢ دولاباً كبيراً ومتيناً جداً لاجل جذب الماء الى العلو وهذه المياه بجريانها تدير هذه الدواليب وكل دولاب من هذه الدواليب لهُ ترومبا (مضخّة) يصعد بها الماء الى فوق. وقد جعلوا خمسة صفوف قنايات حديديّة غلظ الانسان كل واحدة وممتدة الى مكان عالٍ وفي اخرها بركة لاجل اجتماع الماء هناك وذلك لكي يطلع الماء بعزم شديد ويسرع الى الجبل. وكانت رباطات حديد ايضاً بقرب بعضها بعض ممتدة الى اخر الدواليب وهذه الرباطات كانت تتحرك دائماً الى قدام والى خلف وتلزم الماء بالصعود من كل ترومبا وان تدخل الى القنايات بالاغتصاب وقد كان الماء هكذا يصعد مندرجاً نحو ١٥٠ ذراعاً. وهذا كلهُ كان مصنوعاً بصناعة عجيبة وغريبة حتى ان العقول لا تهتدي اليها وكان الناظر يستلذ بالنظر اليها وايضاً يستلذّ بالسمع لمثل هذه الحركات وبقية ما نظرناه ما يقدر الناظر يتلوهُ جميعهُ فاقتصرنا على ما كتبنا

ثم بعد ما تفرجنا ذلك اليوم كلهُ عدنا الى محلنا ولم تزل مدة مكوثنا في باريس على اكرام زائد مع مفترجات وضيافات الى ان عزمنا على الرجوع الى القسطنطينيَّة. فعند ذلك استأذنت السلطان فاذن لي بعد الهدايا والخلع وارسلني كما ذهبت لعنده بعزّ واكرام. وهذا ما جرى في رحلتنا الى مدينة باريس ولله الحمد والمنة

كمل وتمّ

ملحق

هنا تنتهي الترجمة العربيَّة لرحلة محمد سعيد باشا. والظاهر انَّ الاصل التركيّ يروي خبر رجوعهِ الى القسطنطينيَّة فانَّ في المجلَّة الاسيوية الفرنسويَّة وصفًا موجزًا لهذه الرحلة (Journal Asiatique, *Paris*, 1842, 72 57) فيُروى هناك انَّهُ عاد الى طولون على طريق ليون فاستُقبل بكلّ عز حيثما حلّ وأُقيمت لهُ الاعياد الشائقة خصوصاً في ليون. واذ مرَّ في نيم زار مرسحها الروماني الشهير حيث كان يُلقَى شهداء النصارى للسباع والوحوش الضارية في عهد المتضين . ثمَّ عاد الى سيت وركب وحاشيتهُ مركبين حربيَّين على احدهما ٦٦ مدفعًا وعلى الآخر ٥٢ مدفعًا فعاد الى الاستانة مكرَّمًا مع ما اتحفهُ بهِ ملك فرنسة وكبار الدولة من الالطاف والحُلَل كالمناطق الغالية الثمن المرصَّعة بالحجارة الكريمة وكالطنافس البديعة العمل والساعات الدقاقة الجميلة والاسلحة المحكمة الشغل. وقال ابنهُ غير ذلك من التحف (١. ولمَّا انجز السفير خبر رحلتهِ وقدَّمها للسلطان احمد الثالث دعا السلطان المهندسين وامرهم بتقليد حدائق باريس وقصورها فصرف في ذلك مالًا كثيرًا الى أن خُلع سنة ١٧٣٠ وقُتل ابراهيم باشا الصدر الاعظم فأُهملت تلك الابنية وأُخرب بعضها اعداء السلطان. امَّا إبرام العهود بين الدولة العليَّة وفرنسة فانَّ الاحوال لم تسمح بتقريرها. وكان من ثمار هذه السفارة إنشاء فنّ الطباعة في الاستانة فانَّ سعيد افندي ابن السفير محمَّد سعيد باشا نقل حروف باريس العربيَّة واتَّفق مع احد النصارى الجاحدين لدينهِ وهو المسمَّى ابراهيم البصمجي فقتح كلاهما اوَّل مطبعة عربيَّة وباشرا بنشر المطبوعات التركيَّة والعربيَّة سنة ١٧٢٧ فكان مجمل ما نشرتهُ مذ ذاك العهد الى السنة ١٨٣٠ نحو مئة كتاب فقط بين صغير وكبير.

---

١) اطلب اخبار سفارة المركيز دي بوناك (de Bonnac) لدى الباب العالي للمرحوم شرل شيفر (Ch. Schefer) المطبوعة في باريس بالافرنسيَّة سنة ١٨٩٦

الشعر العربي في شرقيّ الاردن

مقالة ادبية اخلاقية بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

ان من اطلع على الآثار الادبية التي ابقتها لنا الامم الماضية رأى ان الشعر أقدمُها عهداً وابعدُها زمناً في مراقي الاجيال . فكل شعب في طور نشأته وصدر أيامه يطرب لسماع الروايات الخيالية ويرتاح نفساً لحوادث الابطال الشعرية ولذلك توفّر المنظوم في الاعصر الغابرة وكثر صاغتُهُ ومنشدوه . وحسبُ الناظر ان يسرّح الطرف فيما خلّدهُ اهل الهند واليونان والعرب من بديع الشعر ورفيعه . فكأن الهند اشتهروا برواية الراماياتا (Ramayana) وهي تنبئ عن توقد ذهنهم وتفنّنهم في اساليب البيان والابتكار فشعرها من الطبقة المثلى يروي فيها شاعرُهم حروب «راما» التي اقامها على سيلان خاطف زوجته . ومنها المابهراتا (Mahabahrana) وهي اقدم رواية سُطِّرت في بلاد الهند تخبرنا عن حروب الپانداس والكوروس

بيد ان الاغريقيين قد نالوا قصب السبق في ميدان الشعر واحرزوا الشهرة الواسعة والصيت البعيد في مجال الآداب فلقد رعى لنا الدهر روايتين تُعدّان من رائق الشعر وكامله فذكرهما يغني عن البيان والثنا . ألا وهما رواية الالياذة ورواية الاوديسة يتداولهما المتأدبون ويتلوهما الطالبون عامّةً وخاصّةً نزهةً للافكار ومثالاً في الابداع والسنا . والعرب القدماء مع بعدهم عن مجالي المدنيّة وتنحّيهم عن اسباب الحضارة قد تركوا للمتأخرين المذهبات السبع الشهيرة التي اجمع ارباب النقد من كل قطر ومصر على محاسنها

غير ان العرب الحاليين القاطنين في شرقي الاردن (١ لم يخرجوا عن سنن الامم

١) العرب الذين نبحث اليوم عن شعرهم وشعرائهم هم الصخور وشيخهم فوّاز . والعدوان وشيخهم سلطان العلي الذياب . وعبّاد وشيخهم نمار البخيت . والمجارمة وشيخهم نايف بن شهوان . والثنيات وشيخهم سالم ابو الغنم . والشوابكة وشيخهم عبدالله الطايبة . والحايدة وشيخهم ابو ربيحة . والحويطات وشيخهم الكبير عودة ابو تاية واميرهم المعروف هو عراز ابن جازي . والمجالي وهم عرب الكرك وحكامها واكبرهم توفيق المجالي ورفيفان . والشرارات وشيخهم كاسب الحاوي

التي سبقتهم. وان كانوا اقلَّ الشعوب تمدُّناً واحطُّهم منزلة وابعدهم عن الترقي والعمران فقد نشأ الشعر في ربوعهم وأحيت البوادي من ارباب النظم عدداً يُذكر وذلك امر طبيعي لان الشعر ينطق به لسان البدوي وترسلهُ قريحتهُ عفواً بلا تعب فهو حيناً يطوي القفار الشاسعة تؤثر في مخيلته صور الجادات التي يتعهدها بانظاره. هناك يرى الجبال الشامخة والسهول الفسيحة والوديان المقفرة والاطلال المبعثرة فتنحصر في مخيلته الى ان ينطق بها يوماً بالشعر الجيد ويصف تلك الشاهد التي انطبعت في مخفوظه. وسنبيّن في مقالتنا اسباب الشعر عند العرب

ولا مراء ان موضوعاً كهذا يستغرق وقتاً طويلاً لجمع الاشعار من تلك القبائل المنتشرة في القفر ويطلب ممَّن يخوض فيهِ ان يكون عارفاً بطباع الاعراب وآدابهم متضلعاً بلغتهم كي يُعبّر عن غامض الشعر ومُبهمهِ بما يطابق المعنى الصحيح وان يكون قضى فيا بينهم اياماً مديدة فاتّقل قصائدهم ومكرّراً ما سطره لأول مرَّة وناقداً مواقع الزلل والغلط ولا بدَّ له ان يكون خالطهم وعاشرهم في جميع حالاتهم في مآدبهم ومسامراتهم وافراحهم واحزانهم. ولمَّا تولّينا في ربوع السلط منذ ثلاثة اعوام اخذنا نستأنس الى حديثهم وشعرهم فارتاحت نفسنا الى هذا الموضوع الفريد. وكثيراً ما كنا ذاتي بالشعراء الينا ونكرم مثواهم وفي اثناء ذلك كانوا يتلون علينا قصائدهم وكنا ندوّن ما جاد وحسن. ولبثنا هكذا نتقلَّب بينهم مقيمين بين ظهرانيهم محاضرين جميع طبقاتهم متتبعين اشعارهم وما يتغنون بهِ في سائر احوالهم الى ان جمعنا كثيراً من شعرهم فاخترنا اجلَّهُ وبسطناه في خاتمة المقالة

ولقد اتسعت الآداب العربية في عصرنا الحاضر بهمة ارباب البحث والمطالعة على ان الباحثين لم يقوموا لشعر العرب الحاليين فضلاً في مباحثهم ولا ذكروا له اسماً اللهم الَّا ما ندر من الرحَّالة الاوربيين الذين وصفوا عوائد العرب واخلاقهم وسطَّروا في عرض كلامهم شيئاً عن آداب العرب بما لا يقنع غلة صادٍ ولا يروي المطالع المدقق واذا اتوا ببعض اشعارهم نقلوها الى لغتهم الاجنبيَّة فلم تُبْقِ العربيَّة بها ولم ندرك شيئاً من لغة اولئك الاقوام. غير ان الوقوف على اشعار العرب الحاليين كثير الفوائد للمؤرخين والمتأدبين واللغويين وغيرهم. فالمؤرخ يطلع على حالة أمة شريفة العواطف رقيقة النفس لها حروب ووقائع وأيام معدودة دافعت فيها عن حريتها

وتأبى ان تذلّ تحت حكم حاكم ولها سنن معهودة تجري عليها . وارباب اللغة يشاهدون تقلُّب اللسان العربي بين هؤلاء الاثام وما طرأ عليهِ من الاغلاط الصرفية والنحوية وكثيرًا ما يتلون في شعرهم تلك الكلمات الفصحى التي كان يستعملها العرب القدماء. وذلك لانفرادهم عن الاعاجم وتنائيهم عن الاجانب

وارباب الحِمى الحائرون لم يزالوا على عهد جاهليتهم . وان كانوا قضوا اجيالًا عديدة فهم على ما كانوا عليهِ منذ عشرين عصرًا حتى ان شعرهم لقد يقرب نوعًا ما الى الشعر الجاهلي من حيث المعاني والاوزان . وذلك لان تلك الامة لم تختلط بما جاورها من الشعوب بل اعتزلت بفيافيها الشاسعة والتجأت الى بواديها الواسعة الاطراف أيام المصاعب . فان محبّي الآثار يجدون في مطالعة اشعار العرب لذّة كبيرة وفائدة عظيمة فانهم ينتقلون ببرهة قصيرة الى عهد امرئ القيس وغيره من فحول الشعراء .

ولقد بحثنا في مقالتنا هذه عن الشاعر العربي وصفاته الخارجية والداخلية وما يقام لهُ من الاكرام والاجلال فضلًا عن العطايا الجزيلة والهبات الوافرة . وذكرنا شيئًا عن كثرة الاشعار عند العرب واسباب وفرتها وقابلنا بين اسواق الجاهلية ومحافلهم في دهرنا الحاضر واتينا بعد ذلك باقسام الشعر وتركيبه وما اختصّ بهِ من المميزات لاسيما في مطلع القصيدة وقلبها وخاتمها وبحثنا عن اوزان الشعر الحاضر وسطّرنا اسماء الشعراء المشهورين كنمر العدوان وابي الكباير وعلي القزيمي وغيرهم من الشعراء والشاعرات وختمنا كلامنا باشهر النظم وكشفنا عن غامض معانيه بشرح مسهب . وغايتنا في ذلك خدمة الآداب العربية فنقول :

ما هو الشاعر العربي

ان الشاعر العربي لا يتميّز عن غيره بثوبه وردائه بل ربما كان غيره خيرًا منهُ . فان كان شابًّا غضَّ الإهاب في ربيع عمره تجلو لهُ الحياة بمحاسنها فيلبس الثوب الحريري الطويل الاردان ويتعمّم بالكوفية الخزّيّة والعقال القصبي . والعقال هو عادةً لفافة من صوف مبروم يلفّها العرب حول المنديل . ويشدّ على حقويه مسدسًا ويضع الى جانبه الايسر سيفًا ثمينًا . ألا انظر الى عينيه المكحّلتين وجديلتيه المضفورتين المسترسلتين على كتفيه وعارضيه المرتفعين فهذا هو الشاعر الشاب تلهوه

الزينة والملاهي واذا كان متقدماً في العمر تجافى عن تلك الاباطيل فتراه لابساً قميصاً طويلاً وعباءة صوف وله لحيـة قصيرة تدل على فطنته ورزانته. غير ان الشعراء في عهدنا الحاضر لا يملكون من الدنيا شيئاً فيعيشون متطفلين على موائد اهل الكرم مكتسين من ارباب الجود والاحسان. فلقد عهدت شاعراً شراريأ يدعى عليّان عليه ثوب بالٍ وعباءة متقطعة وله منديل اكل عليه الدهر وشرب يمشي حافي الاقدام حتى اصبحت رجلاه صلبتين كالحجر يقتات من صيد الغزلان. على انهُ يقظ الفؤاد متلهب الذكاء يدرك بالايماء قبل اللفظ واني لا اعرف شاعراً غيره شراريأ وهو يدعى عليّاً فكنتُ لا اسألهُ عن قصيدة بدوية او معنى شعري الّا اجاب: اعرف ما تريد. ويُنشد في الغرض المطلوب القصائد المديدة. ومما يتضح من اشعارهم انهم سريعو التخيُّل صادقو الشاعر يستخدمون التشابيه التي يرونها في البيداء. كمثل البرق والسحاب والخيول السوابق والسيول الجاردة ولا ينسون شيئاً من الاستعارات التي كان يأتي بها الجاهليُّون في عصرهم

وبعد ان نظرنا الى ظواهر الشاعر علينا ان نصف صفاتهِ الحقيقية كما يعرفها العرب انفسهم. فالعرب يستعملون كلمة الشاعر بمعانٍ كثيرة منها الراوي للشعر الحافظ لجديدهِ وقديمـهِ المطرب للسامعين في السامرات ومجالس الشيوخ والامراء. فهؤلاء الشعراء لا يحصى لهم عدد بين اصحاب المضارب. فهناك نجد اناساً كثيرين واسعي الحفظ يستظهرون على صفحات قلوبهم ما يسمعونهُ مرّات او مرّة واحدة وهم أُميُّون لا يعرفون من القراءة والكتابة حرفاً فيحفظون قصائد كبيرة سمعوها من دهر بعيد لا يخلّون بكلمة منها بعد الزمن الطويل

ولكن الشاعر الحقيقي هو المنشئ المجيد المبتكر لاساليب النظم فيقوم الشعر في خدمته ويروض القوافي الصعبة والمعاني الجميلة فيديه بالكلام الموزون المقفّى. وهؤلاء الشعراء نفر قليل بين الاعراب فلكل عشيرة شاعرها يتبعها في نزلها ورحيلها يمدح الامراء ويُثني على كرمهم وضيافتهم ويصف الغزوات والابطال المشهورين. ولا بدّ للشاعر المجيد ان يتحلّى بصفات ثلاث: فالأُولى ان يكون مبتدعاً لانواع الشعر قديراً على نظم القصائد الوافرة ووصف جميع ما يعرض للبدوي من الاعراض في باديته وبين نياقه وخيله. والثانية ان يكون واضح الصوت جليّهُ. والثالثة ان يكون

ضارباً على الرَّباب . فمن اصاب تلك الصفات عُدَّ شاعراً ونال من الاكرام قدراً وافراً يقضي الكمال على الشاعر ان يكون واسع المخيلة كثير الحفظ نقّاداً لاحوال العشيرة عارفاً بأذواق الاعراب وطبائعهم وما يحلُّ في صدرهم محلَّ الرضى والاستحسان وبارعاً في وصف المواقع والحروب فالشاعر هو الذي يحيي الجماد بحيث يشعر الحضور بتأثير لم يكونوا عهدوه من ذي قبل . فالشاعر العربي اذا وصف فرساً سَبُوقاً وصف اعضاءها كلها وركضها وعلوها وارتفاعها كقول سليمان اليماني :

هَيْهلا يا راكباً حسن الزيفْ يقطف النوّار بدري ان نَمَرْ (١
كأن زوله يوم يقني بالرديفْ مثل ريح مع سنودْ ومنحدرْ (٢
يشدا هيج يوم طلع لهْ قنيصْ طلع القنّاص بالمقعدْ دغرْ
راكباً لهْ عندلْ قباً تروح برها من زين حسنات الوَبَرْ
ان قهقَتها بمصاريع الدنانْ تنزْ فزّات الترال على الجَمَرْ

واذا وصف ناقة اجاد كقول علي القريعي :

هَيْهلا يا راكبين فوق فيحْ مثلَ سُبْمانِ الجراد مُسَرْعفاتْ
او تشدِنْ رفْ القطا مع وجه ريحْ هجاهيج يلحقن المرفياتْ
او تشدن برق الحياة برمح رميحْ من هماليل الثريا ناشياتْ

ودونكم وصف سيف الشاعر المذكور وكان قد طلب بندقية من طلال بن رشيد قال :

ثاني طلبهْ بندقٍ ترزح رزيحْ هواياها بالضريب بيّناتْ
ثالث طلبة هندية ضربها صحيحْ من سيوف يا طلال مثومناتْ
وهنادِ ان سطا الدم يطيحْ ورؤوس في المجاج مُدَمَّلاتْ

فهذه الصفة ترتاح اليها الاعراب وبها يميّزون الشاعر المجيد من الضعيف القاصر . وكثيراً ما يصف الشعراء الحروب والغزوات . هناك نعاين الفارس على متن الخيول الاصيلة لا يهاب المنايا فتخال انفسنا في وسط الميدان . هناك يجول الابطال في ميدان واسع الاطراف فيعلو الغبار في الفضاء وترتفع الاصوات في السماء وتُسمع قعقعة الاسلحة ودويُّ الرصاص وخبب الخيل ثم يعقبها سكوت الموت في تلك

---

١) حسن الزيف اي الفرس المسنة الركض . طعامها من زهر الحقول قبل ان يتفتح
٢) كأنَّ ظلها حينا تسرع في ركضها كالريح الشمالي مع الجبال والمنحدر الى الوديان وقد كشفنا عن غامض معانيها في اخر مقالتنا بشرح مسهب . فعلى المطالع ان يقرأه

البيداء. هناك تهوي الرجال على الارض مضرَّجة بالدماء. فقد ادرك الشعراء ما يؤثر في قلب المرء فذكروهُ وابدعوا. اطلب مثلاً قصيدة ابي الكباير الشاعر الشراري وفيها يمدح عودة امير الحويطات تتحقق رفيع وصفهم واتساع مخيلتهم وقد ذكرناها في آخر كلامنا

ولا بد للشاعر من صوت رخيم واضح لان الشعر عند العرب مُغنًّى. فان كان الصوت مرتفعاً سمعهُ الحضور من اطراف البيت. فما هي الاصوات الرخيمة عندهم؟ هي القوية المرتفعة فالاصوات التي يحبها اهل المدن لا تنال عندهم استحساناً بل ربما استهجنوها وكرهوها لانهم اعتادوا على اغانيهم والحانها دون غيرها. لا تسل الاعراب عن اصوات المغنين البارعين فلا تؤثر بهم ولا يجدون بها لذة بل ربما سئموا لسماعها فيعدُّون انغام المرنّمين المطربة الحاناً شاذةً مملّة. وكذلك اهل المدن الغناء وارباب الترقي والعمران اذا سمعوا غناء الاعراب لا يدركون لهُ معنى ولا يفهمون منهُ حرفاً بل يعدُّونهُ من الالحان الوحشية. ولقد طرقت مسامعنا اغانيهم فوقفنا عندها حيارى لا ندري ما ينطقون بهِ

ويكون الشاعر مجيداً اذا ضرب على الرباب. فالرباب ويسميها العرب الربابة هي نوع من آلات الطرب تضارع العود الصغير يصنعونها من جلد الوبر. فيأخذون خشبات اربع يقرنونها باطرافها الاربعة بالمسامير وطول كل واحدة منها ثلاثون سنتمترًا وعرضها عشر سنتيمترات فيجمعونها بحيث تُصبح مربَّعة ثم يلفُّونها بجلد الوبر ويضعون شعر فرس او حصان يُشدُّ عليها من اعلاها الى اسفلها. وللرباب مفاتيح كالعود بها يُشدُّ الشعر او يُرخى على حسب اغراض الشاعر ولا بدَّ للرباب من قوس يُربط اطرافهُ بشعر مشدود. ولا تأتي الرباب بصوت الّا اذا احتكَّ شعر القوس بشعر الرباب وقبل الضرب على الاوتار يحمُّونها بالنار كي تحمى وكثيرًا ما تُفرَك ببخور حتى تُسمع صوتاً مطرباً واذا لم تأتِ بصوت شجيّ قالوا: انها جائعة. فالشاعر الماهر يديرها كيف يشاء. فتأتي تارة بصوت حزين يفتت الاكباد كآبةً كما لو انشد الشاعر من رثاء نمر العدوان لزوجتهِ «وَضحا» فتحنّ وتئنّ آنات الاسى فيعطف الفؤاد وتبكي العين لسماعها. وتارة تهبّ بصوت عاصف كصوت الابطال في الحروب فيرقص الحاضرون طرباً واستحساناً. وتجري اخرى كسيل هادئ في مدح الامراء واهل

اكرم وطوراً تتبع الصوت بليّات وعطفات وطوراً يتبعها الصوت ويأخذ من الحانها ومن ذلك نشأت الالحان عند العرب . فنها اللحن الرثائي والحرجي اي الحماسي والشتري او الشروقي وهو غناء اهل الشرق في غزواتهم وحروبهم . والهجيني وهو غناء الراعي حينما يورد غنمهُ او ابلهُ الى المياه وهو يمثّل سير النياق والعرب الاقدمون يسمّونهُ خبباً . والهلالي وهو شعر بني هلال

وكم من مرّة عاد في محفوظنا ذكر الشعراء الذين عاشوا في الاجيال الوسطى عند الفرنسيس وغيرهم المدعوين « Troubadours » فكانوا كشعراء العرب الحاليين يجولون من قصر الى قصر طالبين الاحسان من اهل الفضل مرتلين الترانيم البديعة والاشعار الرقيقة والحماسية راوين الحكايات والرويات الخيالية . والامراء في وقتنا الحاضر يعلّقون الرباب في وسط خيمتهم يعدّونها للشعراء في اوقات الافراح كمولد بهيج او عرس او تطهير او محفل حافل او اعياد دينيّة او مدنيّة او في عودتهم من غزوة وهم ظافرون كاسبون

اكرام الشعراء ومداراتهم

وكان الشعراء في كل آن ومكان مكرَّمين معزوزين تخشى القبائل والعشائر من لسانهم وهجائهم فلقد مثّلوا كلامهم وطعنهم بدم الرقطاء او بسيف ذي حدّين ولذلك اقاموا لهم قدراً رفيعاً واكرموهم جهاراً وخفية ولو كانوا في اقصى درجات الفقر والذلّ . واذا نبغ بين الاعراب شاعر وفدت الوفود من المشائر البعيدة والربوع القاصية يهنّئونهُ بما أُنزل على لسانهِ من بديع المعاني فيمدّون مجالس السرور ويُحيون الليالي الساهرة ويولمون الولائم اكراماً لهُ واجلالاً . ويقول العرب ان لكلّ شاعر جنّاً او شيطاناً يلقّنه الشعر وهو عندهم بمثابة إلاهة الشعر (Muse) عند اليونان . على ان الشاعر يسير من ربع الى ربع يمدح الامراء ويطلب منهم العطايا الجليلة والانعامات الوافرة . وكأني بهِ ينشد قول الشاعر :

لا تقبلنّ الشعر ثم تعقّهُ وتنام والشعراء غيرُ نيامِ
واعلم بأنهمُ إذا لم ينصفوا حكموا لأنفسهم على الحكّامِ
وجناية الجاني عليهم تنقضي وعقابهم باقٍ على الايامِ

غير ان الامراء يجزلون لهم العطاء خوفاً من هجائهم . ومن عاداتهم انهم يهدون لهم فرساً كريمة او سيفاً باترًا او رمحاً قاطعاً او بندقية . او يحملون لهم جوالق الحنطة واكياس الطحين ويقدمون لهم ولعيالهم الكسوة وربما انزلوهم في خيمهم واطعموهم على موائدهم كاهل بيتهم . واذا نزلت المصائب بشاعر ما يقصد الامير ويستعطف قلبهُ فيحسن اليهِ بما تجود بهِ نفسه . واذا حُكِمَ على المجرم بحبس مديد سطّر من سجنه قصيدة الى الحاكم او الى كبير البلدة كي ينقذه من هذه الورطة . واذا وقع الشاعر اسيرًا على اثر حرب بذلوا جهد طاقتهم لاسترضائهِ ومداراتهِ فاخذوا عليهِ العهود الشديدة والأيمان المغلّظة ألّا يهجوهم واذا رأوا منهُ خبثاً او مكرًا قطعوا لسانهُ او ذبحوه

وفرة الاشعار عند العرب

وشعر العرب الخاليين وافر جدًا لتوفُّر ملكتهِ عندهم واستحكامها فيهم فاذا جرى لهم حادث ذو شأن اثَّر في نفوسهم وسهل ذكرهُ في اشعارهم فخلّدوا آثاره واحيوا تذكارهُ على تمادي الازمان . ولا يخفى ان الشعر اصلحُ من النثر لوصف الحروب والوقائع فتحفظهُ الحوافظ لسهولة وزنهِ وتردُّد قوافيه مما يعين الذاكرة على استظهاره ونقله في النوادي . والحوادث التي تقع موقع الاعجاب في عقل البدوي كثيرة لمكانه من السذاجة وقصوره عن ردّ الوقائع الى اسبابها . ويوجد غير ذلك من الاسباب فمنها أن العرب قبائل شتى مستقلة بعضها عن بعض في الاحكام والاملاك مشتركة الحاجات في المعاش فلذلك كثر فيهم النزاع وحبّ الحروب فنشأ فيهم الناس أثرت فيهم تلك الحالة فاخذوا يصفون ما يتمهدونهُ بعيونهم . والبدوي سريع الغضب غيور على حريّته وعيشته في البراري والقفار لا تحمل نفسهُ الضيم والجور فكانت تدعوه نفسه الى الانتقام والاخذ بالثأر ورفع العار من بين عشيرته فكان الشاعر يتبعها في الحروب والغزوات لاضرام نيران الحماسة ووصف الظفر والابطال ولهذا توفرت القصائد الحماسيّة فالشعراء كانوا يركبون الخيل السابقة يسيرون معهم في ميدان الوغى او يرتقون على مشارف الجبال ليعاينوا الاعداء ويصفوا الفرسان والظافرين من الفريقين

ولهم عادات حميدة يتميّزون بها عن سائر الامم ألا وهي اكرام الضيف. فمنها قال شاعرهم :

اضاحكُ ضيفي قبل انزالِ رَحلِهِ ويخصبُ عندي والمحلُّ جديبُ
وما الخصبُ للاضيافِ ان يكثر القرى ولكنما وجهُ الكريمِ خصيبُ

فيذبحون له الذبائح ويقضون هزيعاً من الليل يسامرونهُ ويتحدثون معهُ الاحاديث اللذيذة فيدعون الشاعر بعد العشاء ليُطرب الحاضرين ويكون الشاعر حينئذٍ مكرَّماً معزَّزاً يصمت امامه المدعوون ويسمعون كلامه وغناءه. ولا تخلو البيداء من اعياد بهجة واوقات افراح ومسرَّات ففي الاعراس تذهب النساء والفتيات وكل ثلاثٍ يتغطَّينَ بعباءة واحدة فيسرنَ الى بيت العروس وهنَّ يغنين الاغاني البديعة وعند المساء يجتمع جمهور من الشبان في بيت العريس يرقصون ويغنون ويصفقون بايديهم على الحان معهودة ويتناشدون الاشعار في ذلك وتعرف عند العرب بالسَّحجة وفي ملاهيهم يدعو الشبان امرأةً للرقص فيما بينهم فتأتي المرأة مغطاة بالعباءة الصوفية وعلى وجهها القناع فتنتضي سيفاً وتقف في وسطهم وترقص على اوزان معلومة وتنشد الاشعار الخفيفة اللطيفة طبقاً للغناء.

ويستخدمون الشعر في غير ذلك من الحالات فاذا دهمتهم داهية عظيمة قام النظم في خدمتهم كما لو قطف المنون شاباً في ريعان عمره او حبيباً عزيزاً او شيخاً كبيراً او اميراً رهيباً ذا سطوة وشجاعة فترى النساء النادبات ينشدن المراثي الرقيقة فتثنّ اوتار القلوب بالحان كئيبة مما يعجز القلم عن وصفه. هناك الأمّ فوق سرير ابنها المائت تناجيه بالبكاء وذرف الدموع وتحدثه بكلام مؤثر فتُبكي العيون وتدمي القلوب على فقيدها وكأنها تسمع ولدها يناجيها بكلامه فتجيبه وتودعه. فقد سمعنا امًّا تندب شاباً لها عمرهُ ثمانية عشر سنة وكانت تحدثه بحديث رقيق وكأنهُ هو ينطق وهو جامد اللسان فيقول لها :

ايا امي علمّي ودّعيني لانك لن تعودي تنظريني
وضمّيني اليكِ بعد موتي ومن شفقٍ بدمعك بلّليني
اودُّ بحضنك المحبوب نوماً فهل فيهِ بحبٍ تضجعيني
على الدنيا ومن فيها سلامٌ وما في الموت يا امي ارحميني

وحينما يحمل الحاملون ابنها او زوجها الى المقابر تسير وراء النعش وهي تندب

وتبكي اذا وقف الحاملون امام الرمس تسقط المرأة على الارض وتضع التراب على رأسها وتشق ثيابها وتنتف شعرها وتودع حبيبها بالكلام المؤلم ولقد رأينا غير واحدة تخدش وجهها وترخي شعرها على كتفيها دلالةً على الحزن والشجن. ولقد سمعت امًا تحدث الاحجار والنجوم الساهرة وظلام الليالي وكواكب الظلماء وتقول: «وديعتي عندكم احرسوها بالطافكم». تناجي القبر وتستحلفهُ بان يحفظ ابنها من عوادي الايام وطوارق الحدثان وتتمنى لو تكون حارسةً مدى العمر على قبر ولدها (١)

ومن ابدع المراثي ما انشدهُ نمر العدوان على امرأتهِ «وضحا» لا سيا اذا تغنى بهِ الشاعر وضرب على الرباب وقرن صوتهُ الى صوتها. فكان تارة يناجي امرأته وتارة يحدث ابنه الطفل «عقاب» ودونكم من قولهِ لابنهِ وهو يلعب مع الاطفال لا يدري من الاحزان شيئاً:

يا عقابْ ياعزي أين حالكْ وحالي   فَنْت ليالي مزهرة بدلالكْ
فَنّا سُرُورك مَعْ هايتْ الليالي   عَفَتْ الليالي والطربْ والهنا لكْ
كل الشجا والحزنْ والبينْ جاءَ لي   جاني ضناي وقال لي انتبهْ سالكْ
محبوب عيني ساكنْ الدر خالي   ياعقابْ انتَ تلعبْ مع رِفاق اجيالكْ
وانا يا عقاب على النيران الالي   طير السعادة طار لا لي ولا لكْ
طار السرور عني والهنا لا لي   والحزن نزل بقلبي واناخ بالكْ

لعمري ان البدوي يقضي من الايام امرُّهـا طريح الحزن والكمد لانهُ يميل بطبيعته الى الافكار المحزنة فيشعر بصغره وحقارته وتشيب ناصيتهُ تحت اوزان الاحزان فيرى نفسهُ وحدها لا شريك يشاطرها غمّها وكآبتها ولا عين ترمق اليها تفرج عن كربتها ولا ابتسام من ثغر حبيب ولا كلمة من فم صديق فيصرخ صراخاً اليماً بالشعر المؤثر كما صرخ نمر العدوان صراخاً ابكى المشاعر كلها واصبح غناء المحزون المكروب النفس

غير ان الراعي ينشد الاشعار في مسارح الاغنام على الجبال والهضاب في السهول الفسيحة والربوع النضرة فتفيق نفسهُ الى ذكر الاحبة الظاعنة والاصدقاء الراحلة. فتراه حاملاً مزمارهُ يغني طورًا وطورًا ينفخ في آلته يطرب نفسهُ واغنامهُ الراتعة في الكلاء. ثم يرتفع صوتهُ مالئًا الفضاء مناجياً جداول الماء او طير السماء وزهور الحقل او عشب الصحراء. اما الامّ فترنم الشعر على سرير ابنها وتغني له كي ينام وتهزّ

هجعةُ الصغير واذا نام طفلها اخذت المنزل تجمع الصوف على المنزل تغني غناءها . وكذا الاعرابي اذا ركب الهُجُن واوردها على الينابيع البعيدة او الآبار القريبة يرتل شعرًا دعاه الهجين فهذا الشعر يجري على سير النياق يشبه دقَّ الناقوس في الشعر القديم . ومن كل ذلك يتضح ان الشعر من ضروريات الاعراب يستخدمونهُ في افراحهم واحزانهم وفي كل حالة من حالات معيشتهم (لهُ بقيَّة)

ميمر لمار اسحاق السرياني

في عيد بشارة العذراء

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

ننقل هذا الميمر عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة وهو مجموع ميامر قديم للآباء القديسين سبق لنا وصفهُ في المشرق (٨ [١٩٠٥]: ٤٦٥) تحت العدد ٦٠ . فمن جملة تلك الميامر ميمر لمار اسحاق السرياني (ص ١٨٦ - ١٩١) في عيد بشارة الملاك جبرائيل لمريم العذراء الواقع في ٢٥ آذار فبنيَّة وترع اليد في هذا الشهر احببنا نقلهُ لقرَّائنا الكرام . ويؤخذ من هذا المجموع ومن غيره ايضًا انَّ الكنائس الشرقيَّة على اختلاف طقوسها كانت تتلو هذه الميامر في ايَّام الآحاد والاعياد عند اجتماع المؤمنين . ومجموعنا هذا كان مختصًّا بكنائس الروم الملكيين فيهِ ميامر من آباء الكنيسة اليونانيَّة كالقديسين يوحنا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس وابيفانيوس وكيرلُّس وغيرهم ومن ملافنة الكنيسة السريانيَّة كالقديسَيْن افرام واسحاق ومن معلمي الكنيسة القبطيَّة كثاوفيلوس اسقف فسطاط مصر وبولس البوشيّ . وكفى بهذا دليلًا على ائتلاف الكنائس واتّحادها باكرام قدّيسيها

واسحاق السرياني الذي نروي اليوم ميمرهُ يُعرف ايضًا باسحاق الكبير واسحاق الانطاكي ازهر في اواسط القرن الخامس للميلاد ولقدم عهدهِ لا يُعرف من اخبارهِ سوى كونهِ مولودًا في الرها ومتنسّكًا في جهات انطاكية ولهُ من الميامر الشعريَّة في اللغة السريانيَّة ما نشر قسمًا منهُ المستشرقون في عصرنا كالعلَّامة النمساوي الحوري بكّل (Bickell) والكاهن الفرنسوي شابو (J.B. Chabot) وخصوصًا حضرة مواطننا الاب بولس بيجان اللعازريّ

الكلداني (١. وفي مكتبتنا الشرقيَّة من آثار مار اسحاق نسكيَّات وميامر شتَّى منقولة الى العربيَّة لم تُنشَر بالطبع ولعلَّ اصلها السرياني مفقود. وكذلك الميمر الذي حاولنا نشرهُ عن بشارة العذراء لم نجدهُ في جملة خلقته السريانيَّة فننشرهُ بياناً لفضل صاحبهِ. امَّا تعريبهُ فعلى ما هو المرجَّح انَّهُ لابي الفضل الانطاكي الذى وصفنا سابقاً ترجمة حياتهِ (في المشرق ٩[١٩٠٦]:٨٨٦)

على انَّهُ يحسن بنا ان ننبّه القرَّاء الى امر خطير وهو انَّ اسحاق السرياني كان منتسباً مدَّةً الى البدعة الاوطاخيَّة قائلاً بطبيعة واحدة لكنَّهُ عدل بعد ذلك عن رأيهِ مقرًّا بتحديد المجمع الخلقيدوني في طبيعتي السيّد المسيح

ولمار اسحاق سميَّان آخران كانا قريبَيْن من عهدهِ يُدعى احدهما اسحاق الآمدي من تلامذة القديس افرام والآخر اسحاق الرهاوي اشتهرا ايضاً ببعض التآليف التي نُسبت غلطاً لاسحاق الانطاكي. وكذلك أزهر في اواسط القرن السابع اسحاق النينوي الاسقف النسطوري ولهُ ايضاً تآليف نسكيَّة عديدة وربَّما اشتبهت هذه التآليف على النسَّاخ فنسبوا الى النينويّ ما هو للانطاكي والعكس بالعكس. والواجب ان يُعطى كل ذي حقّ حقَّهُ

(186) ميمر لاسحاق السريانيّ قالهُ على تبشير والدة الاهنا الكلّي قدسها مرتمريم (٢ البتول. يُقرأ في الخامس والعشرين من اذار...

قد حان يا اخوتي الاحبَّاء ان نهتف بذلك الفصل الداوودي القائل (مز ١٠٣ : ٢٤): «ما اعظم اعمالك يا ربُّ كلُّها بحكمةٍ قد صنعت» . لانَّ الموسم الحاضر هو بدء اعيادنا ورأس مواسمنا الذي هو بدء خلاصنا ونجاتنا وبدء ضيائنا واستنارتنا لانَّنا بمعصيتنا الجدّيَّة وما قد ظهر من اجترام الذنوب العظيمة واقتران الخطايا الجزيلة كنَّا ساكنين في الظلمة وظلال الموت (لو ١ : ٧٩) ولم يقدر ولا واحد من الانبياء والمرسلين والاصفياء الابرار والصديقين ان ينير لنا نوراً نهتدي بهِ من ذنوبنا ومعاصينا. فصار الباري جلَّ وعزَّ هو الفادي ايَّانا بنور اتيانهِ كقول النبيّ القائل (اشعيا ٩ : ٢ ومتى ٤ : ١٦): «انَّ الشعب الجالس في الظلمة وظلام الموت ابصر نوراً عظيماً»

وقد بشَّرنا بسرور قدومهِ بارسالهِ لجبرائيل الملاك مبشّراً بمعجز الامر. فاليوم هو عنصر اعيادنا وبدء تخليصنا. اليوم ابنُ الله السابق بانذارهِ يصير الآن ابنَ

(١ اطلب. كتابهُ Homiliæ S. Isaaci Syri Antiocheni. *Lipsiæ*, 1903

(٢ اي السيّدة مريم من السريانيَّة ܡܪܬܝ ܡܪܝܡ

البشر. اليوم بدء تجديد طبيعتنا البشريّة. اليوم تبطيل الخطيئة الجدّيّة. اليوم قُدّست طبيعتنا باتّحاد الخالق فيها. اليوم استحقّت السيّدة الشرف والبهاء والجمال والرفعة بالكمال على طغمات الملائكة. اليوم كمل الوقت الذي كانت عنهُ تهتف الانبياء (187). اليوم تمام الاوان الذي كانت اليهِ تتوق عقولنا مع الابرار الاصفياء المختارين. اليوم بنى آدم هيكلاً من نسلهِ لبارئهِ. اليوم يعزّيهِ بمريم العذراء القديسة المباركة الجليلة المجيدة للطبيعة الآدميّة وملكة السلالة الانسيّة الطاهرة: النقيّة التي لم يجد في الاجيال الناشئة اطهر منها جداً. القديسة التي لم يجد في البرايا العقليّة اقدس منها نفساً فخر القبيلة الاسرائيليّة وشرف العشيرة الداوودية التي هتف اليها جدّها داوود هتافاً نبويًّا بقولهِ (مز ٤٤: ١١): «اسمعي يا ابنة وانظري وانصتي باذنكِ وانسي شعبكِ وبيت ابيكِ فيشتهي الملك حسنكِ».

فهذه التي قد اشتهى الملك السماوي جمال طهارتها فارسل اليها خادمهُ جبرائيل ليخاطبها بسلام الفرح باصطفاء الباري اياها قائلاً (لو ١: ٢٨): «افرحي ايّتها المنعَم عليها الربّ معكِ مباركة انتِ في النساء» وكيف لا تكون مباركةً في النساء وهي المتنبّأ عليها من ربّ البرايا وهو معها ويتّخذ لهُ منها هيكلاً يظهر فيهِ من جنسها لانّ جمالها مصوَّر في جميع الاشياء المنظورة وغير المنظورة وقد ولدت اليوم في صورة انسيّة مثنىً سائر البرايا الروحانيّة والهيولانيّة وانشأت لنفسهِ صورة بشريّة

فآه للجّة تحنّن هذا الاله وشرف تنازلهِ لانهُ من اجل ايثارهِ لتخليص جبلتهِ بذل ذاتهُ عنّا واتّخذ صورة عبدهِ فوُجد في الشكل مثل انسان (188). يا لعظم الاحسان الكلّي البهاء والشرف والجلال العظيم الذي لا يستقرّ اثرهُ ولا يُسبَر غورهُ ولا يُدرَك وفور حكمتهِ الازليّة. نحن الذين ابتعدنا عنهُ وعصيناهُ وهو المتفضّل علينا بذاتهِ المهتمّ بنا. يا لوفرة هذا الجود والخيريّة التي لا يُمكن ان تُحصى ابداً لأنّنا اجترمنا اعظم الخطايا وهو بفضلهِ فدانا وبتحنّنهِ ومنّتهِ حرّرنا واحتمل بإرادتهِ العقاب الواجب علينا من موت الخطيئة «حرّرنا بموتهِ وصلبهِ من صكّ الخطيئة الذي من العبوديّة» (كولسي ٢: ١٤). فالمجد والسبح لغنى ووفرة رحمتهِ

فهتف الملاك بالسلام عليها قائلاً: «السلام لكِ يا مريم الربّ معكِ. فلمّا نظرت اليهِ البتول اضطربت لقولهِ وجعلت تفكّر ما عسى ان يكون هذا السلام. فقال لها

الملاك: لا تخافي يا مريم فقد وجدتِ نعمةً عند الله فها انتِ تحبلين وتلدين ابناً وتدعين اسمهُ يسوع. هذا يكون عظيماً وابناً للعليّ يدعى ويعطيهِ الربّ كرسيّ داوود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء. فقالت مريم: كيف يكون لي هذا ولستُ اعرفُ بعلاً. فاجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحلُّ عليكِ وقوّة العليّ تظلّلكِ ولهذا يدعى المولود منكِ قدُّوساً وابناً لله. وها هي ذه اليشبع نسيبتكِ قد حبلت واخفت امرها وهذا (189) شهر سادس لها التي كانت تسمّى عاقراً. وكل امر عند الله تعالى غير عسير. فقالت مريم: هاءنذا أمة الربّ فليكن لي ككلمتك. فانصرف عنها الملاك »

فبالحقيقة لأنَّ الجليلة في النساء. نالت نعمة الله باصطفائهِ أيّاها ليتجسَّد منها ويتأنّس من قداسة دمائها فلم يكن في الاوّلين من يضاهي طهارتها ولا صار في الآخرين من يشاكل قداستها ولن يصير ذلك قطّ. واذ قالت ذلك للملاك: كيف يكون لي هذا ولستُ اعرفُ رجلاً. اجابها: انَّ الروح القدس يحلُّ عليكِ وقوّة العليّ تظلّلكِ والمولود منكِ يدعى ابن الله. فليخزَ الآن نسطور الغليظ العقل العديم الفهم فانَّ القدُّوس هو المولود من مريم البتول الدائم قدسها. وابن الله يُدعى بحلول الروح القدس عليها وتظليل العليّ أيّاها. وقد اوضح الملاك تسمية الثالوث الاقدس بقولهِ « الروح القدس وقوّة العليّ والقدُّوس المولود فيها » ايضاحاً ابان فيهِ وحدة جوهر اللاهوت الاقدس وفرديّة مشيئته في تثليث اقانيمهِ لانهُ ليس اقنوم الآب ولا اقنوم الروح القدس اللذين تجسّدا بل تجسّد اقنوم الابن الازلي بمسرّة الآب وبمؤازرة الروح القدس المعزّي فالسبح لمنحدر خيريّته التي لا تُدرك

وها هي ذه اليشبع نسيبتك قد حبلت بابن في كبرها هذا شهر سادس للتي تُدعى عاقراً لانَّ كل امر عند الله غير عسير (190). فاجابته مريم: هاءنذا امة الرب ليكن لي ككلمتك. فقد افادنا الملاك بما يصعب فهمهُ علينا بقولهِ: انَّ كلَّ امرٍ عند الله سبحانهُ غير عسير. واظهرت البتول الفائق قدسها شرف تواضعها وحسن تصرُّفها ونهاية تورُّعها. ففيها تمَّ قول الانبيا. (اشعيا ٦٦: ٢): « الى من انظر ألا الى الوديع السامع المرتاع من كلامي »

فاذ قد تحقَّقنا ايها الاخوة وعرفنا الاحسان الصائر الينا في هذا اليوم الشريف

بين الأيام والعيد الرئيس على سائر الاعياد فلنمجد المحسن الينا تمجيداً روحانياً ونسبّحهُ تسبيحاً دائماً لإنعامهِ علينا ونشكرهُ اذن بفعل صالح مقرّبين لهُ ذبائحنا وهي الاعمال الصالحة التي يعدّها كتسبيح غير معاب . وليقدّم كلٌّ منّا ما يمكنهُ وتنالهُ قوّتهُ فقد قال (خروج ٢٣ : ١٥) : « لا تظهرنَّ قدامي فارغاً » فهو سبحانهُ المعطي عناصر الخيرات الغزيرة والقابل انواع العطيّات الوافرة والمانح صنوف النعم الحميدة السرور بالنوح المقدّم

والنبادر كافّتنا اجمعين الشيوخ والشبان الكهولة والاحداث كلّ قرن وجنس متسابقين الى اكرام سيدتنا وملكة طبيعتنا مادحين جمال طهارتها موقّرين دوام بتوليّتها مكرّمين سموّ قداستها قائلين: يا فخر البنات ويا زين الأمهات يا والدةً لا رجل لها ويا بتولًا حاملةً لولدها يا عجباً عجبت منهُ الملائكة والانبياء والمرسلون ومجّدتهُ الملائكة الاقدسون (191) تعطّفي على طلبات عبيدكِ واروي المستغيثين بكِ واستشفعي لنا ابنكِ والاهكِ ليغفر لنا ذنوبنا ويعين ضعفنا ويخلّصنا من فرعون العقليّ كما خلّص الاسرائيليين من فرعون الحسّيّ ويُجيزنا بحر هذا العالم الكثير الارياح ويُريحنا من عمل الطين وعمل اللّبن العقليّ ويستخلص لنا من اعدائنا القساة الذين يستعبدوننا لعمل الخطايا وقضاء مسرّاتهم . فاشفعي بنا يا من لا تُردّ شفاعاتها ولا تُمنع طلباتها القريبة من اللاهوت الازليّ والثالوث العنصري الفائقة العلوّ على المواكب الشاروبيّة العالية السموّ على الصنوف الساروفيّة لننال بذلك مدّة اقامتنا في هذا العالم الزائل المعونة على افتعال الاعمال الصالحة والتخلّص من الاعمال الطالحة ونصل بشفاعتك عند انتقالنا الى الخير الدائم والتنعّم في ملكوت السماوات والسكنى في دار الحياة عائشين العيش الباقي الذي لا زوال له الذي تتوق اليهِ العقول الصافية بنعمة ربّنا يسوع المسيح مخلّصنا ابنكِ والهكِ علّة وجودنا الذي بُشّرنا بتخليصهِ ايّانا وانقاذنا من يد عدوّنا لانهُ يمجّد مع ابيهِ وروح قدسهِ الى آباد الدهور كلها امين والسبحُ لله دائماً (غفر الله تعالى خطايا كل من كتب وقرأ وسمع وقال امين)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

الفصل الرابع

الاحداث النصرانية بين عرب الجاهلية

ظهر من الفصول السابقة ما استمدهُ عرب الجاهلية من النصارى في مفرداتهم اللغوية واعلامهم الشخصية. وفي هذا الفصل الجديد نبيّن ما اخذوهُ عنهم من معارفهم التاريخية سواء جرت في العهد القديم من اوّل العالم الى السيّد المسيح او من ميلاد المسيح الى الهجرة. فنقسم الفصل قسمين وفقاً لهذين الطورين

١ أحداث العهد العتيق

امكن العرب ان ينقلوا اخبار العهد العتيق عن اليهود او عن المسيحيين الّا انّنا نروي هنا ما قالهُ الشعراء النصارى او من عاشوا في جهات الجزيرة التي ازهرت فيها النصرانية. واليهود كما لا يخفى قلّما يختلطون بامم غريبة عنهم. وزد عليهِ انَّ الاسفار الالهية والاناجيل المقدَّسة كما يظهر من عدَّة شواهد تؤيّد ذلك كانت معرَّبةً وان كانت تلك الترجمة القديمة هي اليوم مفقودة. وها نحن نتتبّع تلك الاحداث مع ما ينوَّه بها من اقوال العرب

١ ﴿ التكوين ﴾ هو اوَّل ما تُفتتَح بهِ توراة موسى حيث يذكر اوَّلًا خلق الله عزَّ وجلَّ للسماء ثمَّ الارض مباشرةً بالجماد ثمَّ النبات ثمَّ الحيوان. امَّا تكوين السماء فقد مرَّ ذكرهُ في ما اوردناهُ من الالفاظ الدالَّة على الخالق سبحانَهُ وتعالى ثمَّ السماء وزينتها وعلى الارواح الساكنة فيها (المشرق ١٦ [١٩١٣]: ٢٢٩و٢٦٢). فبقي

تكوين الارض في سبعة أيام الخليقة. فما جاء من ذلك ما رواهُ المقدسي (كتاب البدء ١: ١٥٠—١٥١) فقال: «وقد ذكرت حكماء العرب ومن كان يدين الله (كذا) منهم بدين الانبياء في اشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق. فمنهُ قول عديّ بن زيد وكان نصرانيًّا يقرأ الكتب:

اسمعْ حديثًا لكي يومًا تجاوبهُ ... عن ظهر غيبٍ اذا ما سائلٌ سألا
أنَّ كيف أبدى إلهُ الخلق نعمتهُ ... فينا وعرَّفنا آياتِهِ الأوَلا
كانت رياحًا وماء ذا عُرَانيَةٍ ... وظلمةً لم يدَعْ فتقًا ولا خللا
فأمرَ الظلمةَ السوداء فانكشفتْ ... وعزَلَ الماء عمَّا كان قد شغلا
وبسطَ الارض بسطًا ثمَّ قدَّرها ... تحتَ السماء سواءً مثل ما فعلا (١
وجعل الشمس مصرًا (٢ لا خفاء بهِ ... بين النهار وبين الليل قد فصلا (٣
قضى لستَّة أيام خلائقهُ ... وكان آخر شيء صوَّر الرَّجُلا»

روى في تاج العروس (٣: ٥٤٣) البيتين الخامس والسادس لاميَّة بن ابي الصلت وكذلك ابن سيده في المخصَّص (١٣: ١٦٦) روى البيت السادس لاميَّة الَّا انَّ شهادة كتاب البدء وكتاب الحيوان للجاحظ (٤: ٦٥) اقدم واصحّ وكلاهما يروي الابيات لعديّ بن زيد

وروى في كتاب البدء (١: ٦٥) وفي سيرة الرسول (ابن هشام ص ١٤٨) لزيد بن عمرو بن نوفل في تكوين الارض قولهُ:

واسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... لهُ الارضُ تحملُ صخرًا ثقالا
دحاها فلمَّا رآها استوت ... على الماء أرسى عليها الجبالا
واسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... لهُ المُزنُ تحملُ عذبًا زُلالا
اذا هي سيقت (٤ الى بلدةٍ ... اطاعت فصبَّت عليها سِجالا

---

١) رواهُ في تاج العروس (٣: ٥٤٣) على صورة اخرى:

والارض سوَّى بساطًا ثمَّ قدَّرها ... تحتَ السماء سواءً مثل ما ثَقُلا

٢) روى الجوهري (١: ٢٩٩): وجاعل الشمس. وورد في الاصل: «مصيرًا» وهو غلط كما يظهر في كتاب المخصَّص (١٣: ١٦٤) وفي تاج العروس (٣: ٥٤٤): قالوا «والمصر» الحاجز والحدّ بين الشيئين

٣) في الاصل «فضلًا» وهو تصحيف اصلحهُ في المخصَّص وفي تاج العروس

٤) وفي كتاب البدء روى: اذا هي سوقت. وهو غلط

ومثلها لاميّة بن ابي الصلت (شعراء النصرانيّة ص ٢٢٦) :

وشقّ الارضَ فانبجست عيونًا وأنهارًا من العَذْب الزُّلالِ
وبارك في نواحيها وزكّى بها ما كان من حَرْثٍ ومالِ

وقال يذكر خلق الله للنيّرين الكبيرين (شعراء النصرانيّة ٢٢٩ وسيرة الرسول ٤٠) :

انّ آياتِ ربّنا باقياتٌ ما يُماري فيهنّ الّا الكَفُورُ
خلقَ الليلَ والنهارَ فكلٌّ مستبينٌ (١ حسابُهُ مقدورُ
ثمّ يجلو النهارَ (٢ ربٌّ كريمٌ بمهاةٍ شعاعُها منشورُ

ولهُ ايضاً (شعراء النصرانيّة ٢٢٨) :

هو اللهُ باري الخَلْقِ والخَلْقُ كلُّهم إماءٌ لهُ طوعًا جميعًا وأَعْبُدُ
تسبّحه الطيرُ الجوانحُ في الخفى وإذ هي في جوّ السماء تصعّدُ
ومن خوفِ ربّي سبّح الرعدُ فوقنا وسبّحهُ الاشجارُ والوحشُ أُبَّدُ
وسبّحهُ النينانُ والبحرُ زاخرًا وما ضمّ من شيءٍ وما هو مُقْلِدُ (٣

وقال اميّة يصف تكوين الحيوانات (كتاب الحيوان للجاحظ Ms de Vienne, ff.397 طبعة مصر ٢ : ١١٨) :

هو أبدأ (٤ كلَّ ما يأثرُ النا سُ اماثيلَ باقياتٍ سُطُورا
خلق النحلَ مصراتٍ تراها تنقف اليابساتِ والمخضورا (٥
والتماسيح والسنادل (٦ والابلَ م شتّى والرئمَ واليعفورا
وصوارًا من النواشط عينًا ونعامًا صراحيًا (٧ وحميرا
واسودًا عواديًا وفيولًا وسباعًا والنملَ (٨ والخنزيرا
وديوكًا تدعو الغراب لصلحٍ واوَزِّينَ اخرجت وصقورا

---

١) ويروى : يخلق . . . فكلٌّ مستنيرٌ .
٢) ويروى : ثمّ يجلو الظلام
٣) رواهُ في اللسان وفي اساس البلاغة والتاج في مادّة « قلد » . قالوا أقلد البحرُ على الخَلْق اي أرتج عليهم وغرّقهم وجعلهم في جوفهِ . ويروى : والبحرُ زاخرٌ
٤) في طبعة مصر (٢ : ١١٨) : « هو ابدى » فيختلّ الوزن
٥) في طبعة مصر : خلق النخل مصديات . . . والمُخضورا
٦) السنادل طيور كبار . وفي طبعة مصر : « والتماثيل » وهو غلط
٧) في طبعة مصر : خواضبًا
٨) وفي طبعة مصر : وذبابًا والوحش

ثمّ ذكروا تكوين جسم الانسان من طين الارض ونفسهُ من نفخة خالقهِ. قال الجاحظ في كتاب الحيوان (Ms de Vienne , ff. 213 وطبعة مصر ٣ : ٦٥) : « سانشدك لعديّ بن زيد وكان نصرانيًّا ديّانًا وترجمانًا وصاحب كتاب ومن دهاة ذلك الدهر قال يذكر شأن آدم ... » :

قضى لستّة ايّام خلائقهُ (١ وكان آخرُها أن صوّر الرجلا
دعاهُ آدمَ صوتًا فاستجاب (٢ لهُ بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا

وقال اميّة بن ابي الصلت (حياة الحيوان ٢ : ١٣) :

والارضُ معقلُنا وكانت امَّنا فيها مقابرُنا وفيها نُولَدُ

وقال ايضاً في الارض وخلقة الانسان (فيه) :

منها خُلقنا وكانت أُمّنا خُلقت ونحنُ ابناؤها لو أنّنا شُكُرُ
والطوطُ (٣ نزرعهُ فيها فنلبسهُ والصوفُ نجترّهُ ما أدفأ الوبَرُ
هي القرارُ فما نبغي لها بدلًا ما ارحمَ الارضَ الّا انّنا كُفُرُ

وقال ايضاً (جمهرة شعراء العرب ص ١٨) :

كيف الجحودُ وانّما خُلِقَ الفتى من طينِ صلصالٍ له فخّارُ

٢ ﴿ سكنى آدم في الفردوس وخطيئتهُ ﴾ لعديّ بن زيد وصف حلول آدم في الجنّة وتكوين حوّاء من ضلعهِ وتجربة الشيطان لهما على صورة الحيّة ثمّ عقاب الابوين الاوّلين وطردهما من الفردوس فقال عن آدم (طبعة مصر ٤ : ٦٦ = Ms de Vienne, ff. 213) :

ثُمَّ اورثهُ (٤ الفردوسَ يعمرُها وزوجةً صنعةً من ضلعهِ جعلا
لم ينههِ ربّهُ عن غير واحدة من شجرٍ طيّبٍ ان شمّ او أكلا
فمدّا (٥ للّتي من اكلها نُهيا بأمر حوّاء لم تأخذ لهُ الدّغلا
كلاهما خاط اذ بزّا (٦ لبوسهما من ورق التين ثوبًا لم يكن غَزِلا

١) وفي طبعة مصر : خليقة . والبيت مختلّ الوزن
٢) في طبعة مصر: استجاب . غلط ٣) الطوط هو القطن
٤) طبعة مصر بالغلط : اورثة
٥) فيها : قصدا
٦) فيها : اذبرا (كذا)

فكانت الحيَّةُ الرقشاء اذ خُلقت ... كما ترى ناقةً في الخَلْق او جملا (١
فلاطها اللهُ اذ أغوت خليفتهُ (٢ ... طول الليالي لم يجعل لها أجلا
تمشي على بطنها في الدهر ما عمرت ... والتربَ تأكلهُ حزنًا وان سهلا
فأتعبا (٣ ابوانا في حياتهما ... ووجدا (٤ الجوع والاوصابَ والبلا

ولعديّ وصف آخر لتجربة ابليس لحوّاء وعقاب الحيَّة رواهُ العصاميّ في تاريخهِ بسط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي (نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ص ١٩) قال :

سمَّى الرحيمُ الى حوَّا بوسوسةٍ ... غوت بها وغوى معها ابو البشرِ
خلقان من مارجٍ انشا خليقتَهُ ... وآخرَ من تراب الارض والمَدَرِ
إنشاهما ليطيعاهُ فخالفَهُ ... ابليسُ عن امرهِ للحَيْنِ والقدَرِ
فأبلى الله ابليساً واسكنَهُ (٥ ... دارًا من الخُلْد بين الروضِ والشَجَرِ
فاغتاظ ابليسُ من بغيٍ ومن حسدٍ ... فاحتال للحيَّة الرَّقطاءِ والطيْرِ (٦
فأدخلاهُ بأيمانٍ مؤكَّدةٍ ... اعماها بيمينٍ كاذبٍ قذِرِ
هناك سار الى حوَّا بوسوسةٍ ... أزْدت بغرَّاتها معها ابا البشرِ
فأهبطوا من معاصيهم وكلُّهمُ ... نائي المحلّ فقيدُ العين والأثرِ
واهبط اللهُ ابليساً واوعدهُ ... نارًا تلهَّبُ بالإسعار والشَّرَرِ
وانزل اللهُ للطاووس رحمتَهُ ... من صوتهِ وبرى رجليهِ بالنكرِ
وأعقب الحيَّة الحسناء حين غوت ... مَسْخَ القوائم بعد السمْي كالبقرِ
وأعقب اللهُ حوَّا بالذي فعلت ... بالطمثِ والطلْق والاحزانِ والعَبَرِ

---

١) هذا البيت في طبعة مصر مقدَّم على الاثنين السابقين . امَّا قولهُ انَّ الحيَّة كانت كالناقة او الجمل فذلك من مزاعم العرب الذين ذهبوا الى انها كانت بجنحة ذات اربعة قوائم فعوقبت بنقص جناحها وقطع ارجلها والمشي على بطنها وباعراء جلدها حتى يقال « اعرى من حيَّة » وبشق لسانها . (راجع كتاب الحيوان للجاحظ ٤:٦٦)

٢) في طبعة مصر : خليقتهُ بالفاء

٣) في طبعة مصر : فأبقيا

٤) فيها : واوجدا

٥) الضمير الى الانسان اي اسكن الانسان

٦) يريد بالطير الطاووس والعرب يزعمون انَّ ابليس استعان بهِ وبالحيَّة ليدخل الفردوس ويخدع الانسان فمسخهُ الله بتغيير صوتهِ ودقَّة رجليهِ

وروى في كتاب البدء (١: ٦١) وفي اللسان (١٣: ١٥٧) والتاج (٦: ٦٥) عن الحيّة قول امية:

والحيّةُ الحَتْفَةُ الرَّقشاء اخرجها … من بيتها أمِناتُ الله والكَلِمُ
اذا دعا باسمهِ الانسانُ او سمعتْ … ذات الالهِ يُرَى في سعيها زَرَمُ

ورواها الزمخشري في الاساس: «اخرجها من جُحرها أَيْمُناتُ الله والقَسَمُ» (قال) «ويُقال حيّةٌ حَتْفَةٌ اي قاتلة كما يقال امرأة عَدْلَة»

وروي هنا ابياتاً من ارجوزة نقلها صاحب كتاب البدء (٢: ٨٥) والمسعودي في مروج الذهب لعليّ بن جهم عن بدء الخليقة كما رواها له النصارى وان تأخّر زمانهُ عن الجاهليّة:

يا سائلي عن ابتداء الخَلْقِ … مسألةَ القاصدِ قَصْدَ الحقِّ
أخبرني قومٌ من الثقاتِ … أُولو علومٍ وأُولو هيئاتِ
تفرّغوا في طلَبِ الآثارِ … وعرفوا مواردَ الاخبارِ
ودرسوا التوراةَ والانجيلا … واحكموا التأويلَ والتنزيلا
انّ الذي يفعلُ ما يشاءُ … ومَنْ لهُ القدرةُ والبقاءُ
انشأ خلقَ آدمٍ إنشاءَ … وقدَّ منهُ زوجهُ حوّاءَ
مبتدياً وذاك يومَ الجُمعه … حتى اذا أكمل فيهِ الصَّنْعَه
اسكنهُ وزوجهُ الجِنانا … فكان من امرهما ما كانا
غرَّهما الشيطانُ واغترّا بهِ … كما ابانَ اللهُ في كتابهِ
غرَّهما الشيطانُ في ما صنعا … فأُهبطا منها الى الارض معا
فوقع الشيخُ ابونا آدمُ … بجبل الهند ويُدعى واسمُ
لبئس ما اعتاضَ من الجِنانِ … والدمعُ من جبلّة الانسانِ
فشفّها وورثنا الشقاءُ … فسألها وكدّ والعناءُ
ولم يزل مقترفًا (١) من ذنبهِ … حتى تلقى كلماتِ ربّهِ
فأمن السُّخْطة والعذابا … والله توّابٌ على من تابا

والعرب يضربون المثل بآدم في القِدَم قال الاخطل بن ربيعة (الاغاني ١٢: ١٦٥) يهجو بني منقر:

يا منقرَ بن عُبَيْدٍ انَّ لُؤْمَكُمُ … مذ عهد آدمَ في الديوان مكتوبُ
للضيف حقٌّ على من كان ذا كرمٍ … والضيفُ في منقرٍ عُريانُ مسلوبُ

---

١) لعلَّ الصواب: معترفًا

٣ ﴿ بنو آدم ﴾ وقد عرف شعراء العرب في الجاهلية نسل آدم وقصة ولديه كما ورد في قصيدة ابن جهم حيث قال عن آدم وحوّاء :

ثمّ تنسّلا احتباً (١ النَّسلا فحملت حوّاء منهُ (٢ حملا
واتتيا الابن فسمّي قاينا وهابنا من نشو (٣ ما عابنا
فشبَّ هابيلُ وشبَّ قاينُ ولم يكن بينهما تباينُ

ومن الشعر المتضمن لاخبار بني آدم رثاء يرويهِ العرب على لسان آدم وحوّاء عند قتل قاين (ويقولون قابيل) لاخيهِ هابيل وهو لا محالة مصنوع الّا انهُ قديم يُروى في اقدم كُتب المسلمين كتاريخ الطبري (١:١٤٦) ومروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس ١:٦٥) وغيرهما كثيرين (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٤٩٢) وهم ينسبون انشادهُ الى علي بن ابي طالب . ما يدلُّ على انَّ الشعر سبق الاسلام . قال آدم :

تغيَّرت البلادُ ومَن عليها فوجهُ الارض مغبرٌّ قبيحُ
تغيَّر كلُّ ذي حسن ولونٍ وقلَّ بشاشةً وجهٌ صبيحُ (٤
وجاوَرَنا عدوٌّ ليس يفنى لعينٌ لا يموتُ فنستريحُ
وقابيلٌ أذاق الموت هابيـل واَحزَنا لقد فُقد المليحُ (٥
فما لي لا اجودُ بسكب دمعي وهابيلٌ تضمَّنهُ الضَّريحُ
ارى طولَ الحياة عليَّ غمًّا وما انا من حياتي مستريحُ

ونسبوا الى حوّاء قولها كجواب على قول آدم :

دع الشكوى فقد هلكا جميعًا بهُلكٍ ليس بالثمن الربيحِ (٦
وما يُغني البكاء عن البواكي اذا ما المرء غُيِّب في الضريحِ

١) في الاصل « واحبّ » وهو غلط
٢) في الاصل « منهُ حوّاء » بكسر الوزن
٣) هكذا روى المسعودي (١ : ٦٢) وفي كتاب البدء : وولدت ابنًا . . . من امرءٍ . . .
٤) والبيت يروى عادةً بالاقواء : بشاشةُ الوجهِ الصبيحِ . وروى المسعودي : كل ذي طعمٍ
٥) رواية المسعودي :
وقتَّل قاينُ هابيل ظلمًا فوا اسفًا على الوجهِ المليحِ
٦) رواهُ الطبري (١:١٤٦) :
ابا هابيلَ قد قُتلا جميعًا وصار الحيُّ كالميت الذبيحِ

فبكِ النفسَ منكَ ودَعْ هواها فلستَ مخلَّدًا بعد الذبيحِ

واضافوا الى هذه الابيات قولًا على لسان ابليس لآدم :

تنحَّ عن البلادِ وساكنيها ففي الجنّات ضاقَ بك الفسيحُ
وكنتَ بها وزوجُك في رخاءٍ وقلبكَ من اذى الدنيا مُريحُ
فما زالت مكايدتي ومَكْري الى ان فاتك الثمنُ الربيحُ
فلولا رحمةُ الجبَّار اضحى بكفّك في جنانِ الخلدِ ريحُ

وممَّن اشاروا في الجاهليَّة الى ولد آدم افنونُ الشاعر التغلبي (المفضَّليات ص ٥٢٤ ed. Lyall) قال :

قد كنتُ اسبقُ من جارَوْا على مَهَلٍ من ولد آدمَ مالم يخلعوا رَسَني

٤ ﴿ نوح والطوفان ﴾ ليس في الكتاب الكريم بعد ذكر التكوين واقعٌ اخطر من الطوفان في عهد نوح. ولا شكَّ انَّ عرب الجاهليَّة نقلوا الخبر عن اهل الكتاب ولا سيما النصارى. منهم الاعشى الكبير حيث قال يمدح اياساً ويشبههُ بنوح في صنع سفينتهِ (شعراء النصرانيَّة ص ٣٨٩) :

جَزَى الالهُ اياساً خيرَ نعمتهِ كما جزى المرءَ نوحاً بعد ما شابا
في فُلكهِ اذ تبدَّاها يصنعها وظلَّ يجمع ألواحاً وابوابا

ومنهم اميَّة ابن ابي الصلت روى له الجاحظ في كتاب الحيوان (طبعة مصر ١١٨:٢ = Ms de Vienne, 212ʳ) والمقدسي في كتاب البدء (٣: ٢٤) ابياتاً منها قولهُ يذكر نجاة نوح واهله وحلولهُ على جبل الجوديّ الذي فوقهُ نزلت سفينتهُ على زعم العرب :

الَّا أن يفوتَ المرءَ رحمةُ ربّهِ وان كان تحت الارض سبعون (١واديا
كرحمةِ نوحٍ يوم حلَّ سفينة (٢ لشيعتهِ كانوا جميعًا ثمانيا
فلمَّا استنارَ (٣ اللهُ تنُّور ارضهِ ففارَ وكان الماء في الارضِ ساجيا
ترفَّع في جَرْيٍ كأنَّ اطيطهُ صريفُ مُحالٍ يستعيد الدواليا
على ظَهْرِ جَوْنٍ لم يُعَدَّ لراكبٍ سراهُ وغيمٍ ألبس الماءَ داجيا (٤

١) في كتاب البدء (٣: ٢٤) : سبعين
٢) كذا في كتاب البدء ولعلَّ الصواب : سفينَهُ
٣) كذا فيهِ ولعلَّ الصواب : استثار او استفار
٤) في طبعة مصر: « راجياً » وهو تصحيف

فصارت بها أيامها ثمّ سبعةً وستَّ ليالٍ دائبات عواطيا
تشقّ بهم تهوي باحسن إمرةٍ (١ كأنّ عليها هاديًا ونوّاتيا
وكان لها الجوديّ نهيًا وغايةً واصبح عنها موجُهُ متراخيا

ومثلها قولهُ (كتاب البدء ٣ : ٢٤) :

مُنْبِج ذي الجُبْر من سفينة (٢ نوحٍ يومَ بادت لبنانُ من أثرامها
فار تنّورهُ وجاشَ بماء طمّ فوق الجبال حتى علاها
قيل للعبد سِرْ فسار وبالله على الهول سيرُها ومَرساها
قيلَ فاهبطْ فقد تناهتْ بك الفُلـــكُ على رأسِ شاهقٍ مرساها

ولهُ ايضاً (رواهُ صاحب خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب ٤ : ٤) :

عرفتُ أن لن يفوتَ اللهَ ذو قِدَمٍ وأنّهُ من أمير السوء ينتقمُ
المسبحُ الخُشب فوق الماء سخّرها خلالَ جريتها كأنّها عُومُ (٣
تجري سفينةُ نوحٍ في جوانبهِ بكلّ موجٍ مع الارواح تقتحمُ (٤
مشحونةٌ ودخانُ الموج يرفعها ملأى وقد صُرعت من حولها الامم (٥
حتى تسوّت على الجوديّ راسيةً بكلّ ما استودعتْ كأنّها أُطُمُ (٦

ورُوي لهُ ايضاً في كتاب الحيوان للجـاحظ (Ms de Vienne, ff 396ᵛ) بيتان في البهائم التي كانت في سفينة نوح :

تصرخُ الطيرُ والبريّةُ فيها مع قويّ السباعِ والافيالِ
مُرٌّ فيها من كل ما عاش زوجٌ بين ظهريْ غواربٍ كالجبالِ

---

١) في الاصل : امره

٢) لعل الصواب : من سفينه

٣) وفي الاصل عن شارح ديوان امية ما نصّهُ : « يُقال سَبَّح الرجلُ واسبحَهُ الله. والعُوم جمع العومة كأنّها حيّة تكون بعمّان. والعامة شبه الطوف الّا انّها اصغر منهُ يركب فيه البحر » وروى في لسان (١٥ : ٣٢٨) : في اليمّ جريتها

٤) في الاصل : في جوانبه اي جوانب الماء

٥) في الاصل : مشحونة اي مملوّة يقال : اشحنْ سفينتك اي املأها . وفي خزانة الادب قبل هذا البيت بيت آخر أُقحم في القصيدة بالغلط وهو من بحر المنسرح كما نبّهَ عليهِ في الهامش والابيات كلها من البسيط وهو قولهُ :

. نُودي قُمْ واركبَنْ باهلكَ م انّ الله موفٍ للناس ما زعموا

٦) الأُطُم والجمع آطام

ويحسن بنا ان نروي هنا ما قال القطاميّ الشاعر النصراني في عهد بني اميّة عن نوح وسفينته (ديوانهُ ص ٨٤ ed. Barth ولسان العرب ٦ : ٣٣٤) :

وأُنذِرُكم مصايرَ قومِ نوحٍ وكانت امَّةٌ فيها انتشارُ
وكان يسبّح الرحمانَ شكراً وللهِ المحامِدُ والوقارُ
فلمّا ان اراد اللهُ امراً مضي والمشركون لهم جُؤارُ (١
ونادى صاحبُ التنُّورِ نوحاً وصبَّ عليهمُ منهُ البوارُ (٢
وضجّوا عند جيئتهِ وفرُّوا (٣ ولا يُنجِي من القَدَرِ الحِذارُ
وجاش الماء منهمراً اليهم كأنَّ غُثاءهُ خِرَقٌ نشارُ (٤
وعامت وهي قاصدةٌ بإِذْنٍ ولولا اللهُ جار بها الجَوَارُ (٥
الى الجوديّ حتى صار حِجْراً وحان لتالكَ الغُمَرُ انحسارُ (٦
فهذا فيهِ موعظةٌ وحكمٌ ولكني امرؤٌ فيَّ افتخارُ

وذكر اميّة الجُوديّ في محلّ آخر مشيراً الى حلول سفينة نوح عليهِ (كتاب سيبويه ١ : ١٣٦ ed. Derenbourg) والبيت يُروى لورقة بن نوفل في جملة ابيات (شعراء النصرانيّة ص ٦١٧) :

سبحانهُ ثمَّ سبحاناً يعودُ لهُ وقبلنا سبَّحَ الجوديُّ والجُمُدُ

ولاميَّة يذكر امر الغراب والحمامة اللذين ارسلهما نوح فغدرْ الغراب وعادت الحمامة بغصن الزيتون فقال (كتاب الحيوان للجاحظ طبعة مصر ٤ : ٦٥ ثم Ms de Vienne, ff. 212r ثمّ كتاب البدء ٣ : ٢٥) :

واذ هم لا لَبوسَ لهم تقيهم واذ صمُّ السلام لهم رطابُ (٧

---

١) قالوا الجؤار الماء الكثير

٢) في لسان العرب : نوحٌ . وفي الديوان : الوَبارُ . ونظنّها تصحيفاً

٣) رواية الديوان : جيئةِ اليم . وجيئتهُ اي حين جاء الطوفان

٤) في الاصل . « يريد كأنَّ زَبَدَهُ ملاءة منتشرة مبسوطة » . وفي اللسان : خِرَقٌ قِشارُ

٥) شرحهُ في الديوان : عامت سبحت الى الجوديّ . والجَوَار الجَوْر اي لولا الله لجار بالسفينة الماء فكانت تجور ولا تهتدي

٦) قال في اللسان : الحِجْر الممنوع الذي لهُ حاجز . وفي الديوان اي منع الجودي السفينة ان تبرح . الغُمَر الغَمَرات التي الذي يُغمَر ويغرق . والانحسار الانكشاف

٧) رواه الالوسي في بلوغ الارب (٣ : ١٢١) عن الثعالبي « لهم عراةٌ . . . صمُّ الصلاب » . وفي كتاب البدء : « واذ صخرُ السّلامِ » وفي البيت اشارة الى ما كان يزعمهُ

عَشِيَّةَ أُرْسِلَ الطوفانُ يجري وطافَ الماءُ ليس لهُ جِرابُ
على امواجِ أخضَرَ ذي حبيكٍ كأنَّ سُعَارَ زاخرِهِ الهِضابُ
بآيةِ قامَ ينطقُ كلُّ شيءٍ وخانَ امانةَ الديكَ الغرابُ (١
وأُرسلت الحمامةُ بعد سبعٍ تدلُّ (٢ على المهالكِ لا تهابُ
تَلَمَّسُ هل ترى في الارض عيناً وعاينةً بها الماءُ العُبَابُ (٣
فجاءت بعد ما ركضت بقِطْفٍ عليهِ الثَّأطُ والطينُ الكُبابُ (٤
فلمّا فرَّسوا الآيات صاغوا لها طوقاً كما عُقِدَ السِّخابُ (٥
اذا ماتت تورَّثهُ بنيها وان تُقتَل فليس لها استلابُ (٦
جزى (٧ الله الاجلُّ المرءَ نوحاً جزاءَ البِرِّ ليس لهُ كِذابُ
بما حملت سفينتُهُ وانجت غداةَ أتاهمُ الموتُ القُلابُ
وفيها من أُرومتهِ عيالٌ لديهِ لا الظِماءُ ولا السِغابُ

وقال ايضاً في حمامة نوح وطوقها (حياة الحيوان للجاحظ ٢ : ١١٩) :

وما كان اصحاب الحمامة خيفةً غداة غدت منهم تضمُّ الخوافيا
رسولًا لهم والله يحكم امرهُ يبين لهم هل يونس التوب باديا
فجاءت بقِطفٍ آيةً مستبينةً فأصبح منها موضعُ الطين جاريا
على خطمها واستوهبت ثمَّ طوقها وقالت ألا لا تجعلِ الطوق حاليا
ولا ذهباً اني اخافُ نبالهم يخالونهُ مالي وليس بماليا
وزِدْني على طوقي من الحَلي زينةً تُصيب اذا أُتبعتُ طوقي خضابيا

العرب انَّ الحجارة كانت قبل الطوفان رطبةً والطيور ناطقة ومن امثالهم « كان ذلك إذ كان كل شيءٍ ينطق » و « كان ذلك والحجارة رطبة » ويدعون ذلك العهد « زمن التفسُّحل »

١) روى في كتاب البدء : « بآيةُ قام » . وروى الالوسيّ : « وكان امانة الديك » وكلاهما تصحيف

٢) في كتاب البدء : ترلُّ

٣) في كتاب البدء : وعانتهُ . وفي كتاب البدء : « به تيشٌ واضطراب » وهي رواية مصحَّفة

٤) القِطْف ما قُطِف من الاغصان . والثَّأطُ الحمأة . والكُباب الطين اللازب . وفي كتاب البدء : « عليهِ الشلط والطين الكتاب » وهو تصحيف

٥) في كتاب البدء . فرَّشوا الآيات . والمعنى ميَّزوا وفصَّلوا . والسِّخاب القلادة . ويروى : السحاب وهو تصحيف

٦) في كتاب البدء : « تورَّثها . . وان قُتلت » . وفي البيتين اشارة الى زعم العرب بأن الطوق الذي يحلّي عنق الحمامة انَّما هو جزاء امانتها لمَّا عادت الى سفينة نوح

٧) في كتاب البدء : فجازى . والبيت مختلّ الوزن

وزدني لطَرْف البين منك بنعمةٍ ووَرِّثْ (١ اذا ما متُّ طوقي حماميا
يكونُ لأولادي جمالًا وزينةً ويجوين زيني زينةً أن برانيا (٢

وروى البحتري في حماسته (راجع طبعتنا ص ١٢٤) لرجل الكنديّ في نوح وسفينته فقال في تصرُّف الأيام:

وأصبحَ نوحًا بعد ما بلَّتْ به أُنْقَ البلاد سفينةٌ لم تترَقِ

ويضربون المثل في نوح بطول العمر ورووا لرؤبة (ديوانهُ ص ١٢٨)

فلكْ لو عُمِّرتُ سنَّ الحِسْلِ او عُمْرَ نُوحٍ زمنَ الفِطَحْلِ (٣
والصخرُ مبتلٌّ كطين الوَحْلِ صرتُ رهينَ هرمٍ او قتلِ

اوهام العقليين في الوحي الالهي

للاب شرل ايلا اليسوعي (تابع)

٤ بدعة السوشنيين

هُمُ العقليون المتوسطون على ما سبق اليك الكلام (ص ١٧٧) ويُطلق عليهم ايضاً اسم الموحِّدين (Unitariens) واعداء الثالوث (Antitrinitaires) لأنهم يعتقدون انَّ الذات الالهيَّة لا تقوم الَّا باقنوم واحد

وكان منشأ هذه البدعة ليليو سوسين (Lelio Socin) ونسيبهُ فوست (Fauste) ايطاليَّين ابصرا النور في مدينة سينًا (Sienne)

امَّا الاوَّل فبعد ان تلم اربع سنوات في انحاء اوربا ومكث برهةً من دهره

١) في الاصل: وأَرِّث

٢) وللشاعر بعد هذا ابيات ذكر فيها قصَّةً يرويها العرب جرت على زعمهم بين الديك والغراب. يقولون انَّ الديك نادم الغراب وشربا الخمر ولم يعطيا الخمَّار حقَّهُ فرهنَ الغرابُ الديكَ على حجَّة ان يذهب ويأتي بالثمن فلمَّا ذهب خاس بالديك وسخر به ولم يرجع فبقي الديك محبوساً

٣ الحِسْل ولد الضب ويروى: عُمْر الحسلِ. والفِطَحْل السيل والطوفان. (راجع الصفحة ٢٨٨)

في زوريخ من اعمال سويسرة أمَّ نحو سنة ١٥٥٧ بلاد بولونية وكان ملكها سيجيسموند اغسطوس الاوّل مولعاً بالبدع فاقتبله في بلاطهِ ورحّب بهِ. وكان ليليو من قبل لا يجسر على المجاهرة بتعاليمه خوفاً من أولي الامور ولاسيما زعماء الاصلاح البروتستنتي. فانَّ هؤلاء بعد ان وضعوا حرّية البحث الديني ونادوا بها على رؤوس الملأ لم يعملوا بها بل اضطهدوا الذين ناهضوهم في آرائهم ان صحيحة وان باطلة واهنة. من ذلك انَّ الكَلْوينيين في جنيفا حكموا بالاعدام حرقاً على ميشيل سرفه (Michel Servet) لكفره بأُلوهية السيد المسيح. وكان وقتئذٍ ليليو سوسين في سويسرة فرهبَ ان يلحقهُ ما أَلمَّ بسرفه فكتم اضاليلهُ ما استطاع لا يوقف عليها الا النزر القليل من مُخلصيهِ لا بل أُجهر اورثوذكسيَّتهُ البروتستانتيّة. على انّهُ ما فاز بنعماء سيجيسموند الملك وحسن التفاتهِ الّا وعاق ينشر بدعتهُ في بولونية. وقد اقامَ فيها شطرًا من الزمن ثم بارحها عائدًا الى وطنهِ ايطالية قصد الاستيلاء على إرث ابيهِ وكان سيجيسموند اصحبهُ بمكاتيب توصية من اجل هذا الغرض ومن ايطالية رجع الى سويسرة حيث توفي عام ١٥٦٢

وكان اذ ذاك فوست سوسين في مدينة فلورنسة مُشتغلًا في بلاط درق توسكانة الكبير اللاهي والمناصب عن التبحّر في معتقدات بدعة نسيبه وما قام يتحمّس لها الّا سنة ١٥٧٤ فقصد المانية ثمَّ سُويسرة حيث عكف على درس اللاهوت حَوْلًا ثلاثة خافياً جهده مزاعمهُ الشاردة. وفي اوائل سنة ١٥٧٨ دخل البلاد الترنسلڤانيَّة ولبث فيها عاماً ينشر تعاليم البدعة. وفي السنة التالية جاء الى بولونية فوجد فيها كثيرين من انصار مذهب نسيبهِ المتوفَّى الّا انَّهم كانوا متفرّقين شيعاً لا تجمعهم كلمة ولا تحكم بينهم سلطة فتوفَّق بذلاقة لسانهِ وخلابتهِ الى رأب صَدْعهم وضمّهم الى كنيسة واحدة عرفها رسميّاً أُولو الامور هناك ودُعيت بالكنيسة السوسنيَّة

وقد حُفظت تعاليم السوسنيَّة مُثبَتةً في مجموعةٍ بثمانية مجلَّدات ضخمة عنوانها «مكتبة الاخوة البولونيين» (١ طُبعت في امستردام سنة ١٦٥٦ وفي المجلَّدين

١) اسمُها : Bibliotheca Fratrum Polonorum, 8 vol. in f°, *Irenopoli*, 1656

الاولين منها تآليف فوست سوسين تتقدمها ترجمة. امّا ليليو فلم يُنشر له شيء في المكتبة المذكورة

ومن تآليف الاخوة البولونيين يتّضح انّ اساس المذهب السوسيني هو حرّية البحث الديني. فانهم لا يرفضون الكتاب العزيز لا بل يقرّون بكونه مُنزلًا غير انهم يحتّمون باستحالة كل ما فاق ادراك العقل النظري فاذا عثروا في النصوص الالهيّة على قضيّة خرجت عن دائرة المدركات الطبيعيّة اوّلوها على الطريقة الرمزيّة حتى يأتي معناها طبق مبدإهم. فلله درّهم من مؤمنين كافرين وخاضعين متمرّدين لا يخضعون لكلام الله بل يُخضِعونه لفلسفتهم الضالّة. وعلى هذا توصّلوا الى جحد الثالوث ولاهوت المسيح وحقيقة تكفيره عن خطايانا اذ حمل عاهاتنا وقدّم ذاته للآب على الصليب ذبيحةً عنا

ويا ليتهم نبذوا الكتاب المقدس ظهريًا ولم يعمدوا الى تفاسيرهم الرمزيّة التي حدت بهم الى ان عزَوا الى الروح القدس الموحي اقاويلَ لم تكن لتخطر ببال حتى لصبيان المكاتب واليك مثلًا على سخافة تأويلهم :

جاء في مقدّمة الانجيل الرابع: «في البدء كان الكلمة» فيفسّر فوست سوسين(١) هذه الفقرة على ما يلي: «في البدء اي في مستهلّ التاريخ الانجيلي (!!!)» كأنّ كل ما جاء في كتابات الرسول الحبيب صريحًا جليًا عن الوهية السيّد المسيح ووجوده الازلي امسى نسيًا منسيًا او كلامًا فارغًا من المعنى. وكذلك قول الانجيلي عينه «كُلٌّ به (اي بالكلمة) كُوِّنَ» معناه عند فوست سوسين انّ يسوع المسيح صنع كلّ الاشياء المتعلقة بتأسيس النصرانيّة (!!!) فحصرَ وقيّدَ المفسّر كفرًا والحادًا ما اطلق صاحب النصّ المقدّس في الفقرة الانجيليّة عينها اذ اردفَ قائلًا: «وبغيره (اي بغير الكلمة) لم يُكوَّن شيء ممّا كُوِّن»

ولم تُعمّر بدعة السوسنيين في البلاد البولونيّة فانّ الملك سيجيسموند الثالث لم يلبث ان نكّس اعلامها فتلاشت واضمحلّت في مملكته تمامًا

امّا في يومنا هذا فلم يبق من تباعها الّا العدد القليل وهم متشتّتون في انكلترة

---

١) F. Socin, *Explicatio primi capitis Joannis*

والولايات المتحدة وليس لهم جماعة خليقة بالذكر الّا واحدة وهي في بلاد ترنسلفانية (١

• العقليون المتطرفون

كانت اوّل حركتهم في انكلترة وربّما أُطلق عليهم اسم الإلهيين (déistes) لأنّ الاوّلين منهم زعموا انّ الانسان بما يدلّهُ عليه العقل الغريزي من معرفة الخالق وعلاقات المخلوقات العاقلة بهِ غنيٌّ عن الوحي ايًّا كان معدنهُ

وممّا لا سبيل الى الريب فيهِ هو تأثير الاصلاح الموهوم في اضاليلهم ولكن على خلاف تأثيرهِ في هرطقة السوسنيين . فقد مرَّ بك ان هؤلاء لم يعالجوا الاسفار الإلهيّة بتفاسيرهم الصبيانيّة الّا عملًا بحريّة البحث البروتستانتيّة . امّا الإلهيّون فقد كان من فعل حريّة البحث فيهم ان نفروا من الكتب المنزلة وأعرضوا عنها لا يُقدّرون لها قدرًا ولا يعيرونها سمعًا . وذلك انّ حريّة البحث احدثت فوضى الآراء في تفسير الآيات الشريفة فتسرّب الشكّ الى الافئدة في حقيقة معنى كلام الله حتى يئس البعض من الوقوف عليهِ واستغنوا عنهُ بنورهم الطبيعي وعن الديانة الوضعيّة الموحاة بالديانة الطبيعيّة الفلسفيّة وهي مذهب الالهيين

والحقّ يُقال انّ الشيع البروتستنتية العظمى لم تعتّم ان تشعّبت فروعًا اكثر من ان تُحصى وكنتَ ترى من فرعٍ الى غيره بل من فئةٍ الى اخرى في الفرع الواحد اختلافاتٍ وآراء متناقضة يبنيها جميعًا اصحابُها على النصوص الكريمة ممّا لا يتمالك امامهُ من الشكّ ذوو الايمان الثابت المتين لولا اعتقادهم انّ الله انّما خوّل سلطان التفسير الكنيسةَ الحقيقيّة وحدها . فكيف بذوي الايمان الضئيل في موقف كهذا وانت تعلم انّ الاوّلين من جماعة الانكليكان قد تقلّبوا في المذاهب والنِحَل مع تقلّبات الريح السياسية في بلادهم حتى اضحى ايمانهم المسيحي اسمًا بلا مُسمّى مبنيًّا على ارادة المتصبّبين لا على كلام الله . وُلدوا بالمعاد في حضن الكنيسة الكاثوليكيّة فانفصلوا عنها خوفًا من تهديدات هنريكوس الثامن ثمّ عادوا اليها في ايام الملكة ماري واخيرًا جنحوا الى الارطقة وثبتوا فيها في عهد اليصابات

---

١) راجع كتاب ڤيكورو المذكور آنفًا (ص ٤٩١)

وقد سعت المتعصبة هذه في توحيد المعتقد بين شعبها اذ اجبرتهم تحت العقوبات الطائلة على الاقرار بالقضايا الدينيّة التسع والثلاثين (39 articles) التي وضعها المجمع الانكليكاني عام ١٥٦٣ غير انّ الاصلاح الانكليزي لم يكن اوفر حظّاً من اللوتيري ولم يُصب من الوحدة اكثر منهُ فما لبثت الكنيسة الانكليكانيّة ان تشعّبت وتمزّقت فنشأت فيها البدع عن البدع وعلت ضوضاء المخاصمات وتعدّدت الآراء وتضاربت . فحارت عقول المتبصّرين وجعل بعضهم يتساءلون : ترى أليس الدين بمعزلٍ عن المنازعات والمشاحنات ؟ . أليست الحقيقة الالهيّة ثابتةً راسخةً لا تغيّرها الاضطرابات السياسية ولا الأهواء البشريّة ؟ فكيف تكون آياتُ الكتاب كلامَهُ تعالى وموردًا صافياً للعطاش الى الحقيقة الدينيّة وقد استقى منهُ المتنحلون الحارّ والمرّ والحقّ والباطل ؟ وان قيل : لم يفقهوا لهُ معنى فما الفائدة اذًا منهُ للعباد او لا يكون وحيُ الله بهِ عبثًا ؟

ولا يندّ عن علم القارئ اللبيب أنّ حلّ هذه العقدة سهلٌ لدينا نحن الكاثوليك فقد قلنا (ص ١٢٤—١٢٧) انّ الكتاب العزيز لا يكفي ذاتهُ لذاته بل لا بدّ من سلطة معلّمة معصومة تكشف النقاب عن غوامض معناه . والّا فلا مناص من الشكّ فيه والتسكّع في غياهب مذهب الالهيين والقول معهم : عبثًا يُستطلعُ الوحي ولا سبيل الى تناول مفهومهِ فهو إذن غير ضروري بل ليس فيهِ من فائدة للبشر

وهو الرأي الذي بسطهُ لاوّل مرّة رأسُ الإلهيين اللورد هربرت شربوري (Herbert Cherbury + ١٦٤٨) في كتاب لهُ عنوانهُ : « في الحقيقة من حيث تميّز عن الوحي والقريب الى الصحّة والممكن والباطل » (١ وقد دُعي شربوري « لورد ما وراء الطبيعة » (Metaphysick Lord) لأنّهُ توخّى ابدال الديانة من الفلسفة ولم يقصد بهذا تقويض الدين لا بل صرّح بضرورتهِ . كذلك لم يقرّف الكتاب المقدّس بالخطإ بل اجلّهُ واطراهُ لمّا ضلّ عن سواء السبيل اذ اراد حصر الدين في قضايا فلسفية خمس وهي : وجود الله ووجوب التعبّد لهُ وضرورة الفضيلة والتقوى ولزوم التوبة عن المآثم والاعتقاد بثواب الآخرة وعقابها . وقد زاد شربوري

١) De veritate prout distinguitur a revelatione, a verisimili a possibili et falso.

الطين بلّة حيث زعم ان هذه الحقائق يتوصّلُ البشر دون صعوبة الى معرفتها والعمل بها بمجرّد تفاسفهم مستغنين عن الوحي وعن النصوص المُنزلة

واوّل شاهدٍ على فساد هذا الرأي المخاصمات التي نشبت بين الالهيين الذين جاءوا بعد شربوري والاضاليل الفلسفيّة التي جنحوا اليها فانّهم ذهبوا حتى في القضايا الخمس الوما اليها مذاهبَ شتّى ولم تضمهم الّا كلمة واحدة وهي الكفر بالوحي. امّا اباطيلهم واراجيفهم فحدّث عنها ولا حرج. فنهم الدهريّون والحلوليّون ومنهم الماديّون واللاأدريون وليس من خرافةٍ إلّا تجدها مثبتةً في مصنّفاتهم

ذاك توما هوبس (Thomas Hobbes +١٦٧٩) تطرّق من مذهب الالهيّة الى الكفر اصرحه واشنعه كانَ لاأدرياً ومادياً وحذف من الوسط كل ديانةٍ حتى الطبيعيّة اذ اجهرَ أنها كأنّها منوطة برأي الامير وإرادته فان أمرَ بالتجديف على اسم الله أضحى التجديف فضلًا وصلاحاً

وكذا شارل بلونت (Blount) الذي انتحر عام ١٦٩٣ وقد اضاف الى الالحاد القحة والسفاهة وهزأً بالوحي والمعجزات فكان في انكلترة خير سلف لڤولتير في فرنسة

وعلى الشاكلة عينها الارلنديّ جوهن تولند (John Toland ١٧٢١) وقد تقلّب في النحل ولا تقلّب الحرباء في الالوان فهو يوماً كاثوليكي وآخر بروتستنتي كهنوتيّ (presbytérien) وتارةً الهيٌّ واخرى حلولي الى ان غدا لا يدين بدين البتّة

ولو اردنا الاتيان على ذكرِ كل الذين اشتهروا بالكفر من الالهيين في انكلترة اطال بنا الشرح وملّ القارئ وفيما لخّصناهُ كفايةٌ لاقامة الحجّة على بطلان مزاعمهم ذهبوا انّ الديانة الطبيعيّة تسدّ مسدّ الوضعيّة الموحاة وقد افادتنا اخبارهم انهم لم يشيدوا مكانها الّا الكفر والضلال. وقد اقام مونتسكيو حولَين في انكلترة فكتب عام ١٧٢٩ ما يلي (١: « قد اضمحلّ الدين في انكلترة فليس الّا اربعة او خمسة من المبعوثان يحضرون القداس ويسمعون الوعظ وان فتح احدٌ حديث الديانة هزأ به الجميع »

١) ذكرهُ تان: (Taine, *Ancien Régime*, p. 363)

وإلّا في هذا القول وان كان محمولًا على المبالغة دليلٌ صريح على ضرورة الوحي كيما يسهل على الانسان معرفة واجباتهِ الدينيَّة وترسخ قدمهُ في جادَّتها

ومن انكلترة جاز مذهب الالهيَّة الى فرنسة حمَلَهُ اليها ڤولتير (+ ١٧٧٨) فانَّهُ كان هرب الى انكلترة خوفاً من السجن واقام هناك زمناً يتشرَّب مبادئ العقليين حتى امتزجت بهِ امتزاج الماء بالراح. فلماً ان عاد الى فرنسة وقف حياته كلَّها للكفر ومقاومة الدين القويم واذ ضاق ذرعهُ عن البيّنات الراهنة عمد الى النفاق والتلفيق والبذاءة تهزُّأ بالنصرانيَّة وبغي عليها ولم يخجل من تزوير الاسفار المُنزلة حاذفاً منها او زائدًا عليها حسباً تقتضيهِ اغراضه السافلة

ومن معاصري ڤولتير وزملائهِ وان بعيدًا عن سفاهته جان جاك روسو (+١٧٧٨) زعم انَّ كل ما يفوق الطبيعة مستحيلٌ لأنَّهُ لم يرَهُ قط. وهو ممن لم يقرّ لهم في الرأي قرار فطورًا كان يطرى الانجيل ويشدو بمديح المسيح وطورًا كان يرفض المعجزات والنبوات والوحي اصلًا

ومن اعوان ڤولتير ديدرو (Diderot † ١٧٨٤) وكان متعصّباً في مذهب المادّيَّة والدهريَّة متمسّكاً بهما متحمّساً لهما ولا تحمّس العابد الصادق للدين الحق. ودالمبرت (d'Alembert ١٧٥١) وهو من اللاأدريين والماديّ هلفيسيوس (Helvétius † ١٧٧١) الخ

ومن العقليين الذين عاشوا في فرنسة في القرن المنصرم قومٌ دُعوا بالفلاسفة المستحسنين (éclectiques) وقد اشتهر بينهم كوزين (Cousin † ١٨٦٧) وجول سيمون (J. Simon † ١٨٩٦) وجانه (P. Janet † ١٨٩٩) وانَّ هؤلاء مع اقرارهم بفضل النصرانيَّة على الانسانيَّة خصوصاً بما سنَّت لها من الشرائع الادبيَّة رفضوا الوحي بتاتاً مدَّعين انَّ الديانة الطبيعيَّة تكفي الانسان معرفةً وعبادة وتقىً واما الاسرار والمعجزات فهي لديهم من المحالات

وفي مقدَّمة العقليين الالمانيين وُلف (Wolf † ١٧٥٤) هذا ادَّعى الفلسفة وزعم انَّها لمّا تغني عن الوحي اذا كان منطوقهُ من المدركات الطبيعيَّة واماً تُناقضهُ اذا تضمَّن اسرارًا لم يحكِ عنها العقل البشري

وقد كانت البلاد الالمانيَّة مهد العقليين الذي دُعوا كتابيين (rationalistes)

bibliques) وهؤلاء لم يكتفوا بالقول ان الاسفار الشريفة كتبٌ بشريةٌ محضة بل توخوا ابطال ما جاء فيها من الحوادث الفائقة الطبيعة وطلباً لذلك كانوا تارةً ينفون نسبتها الى مؤلفيها الاقدمين وتارةً يرفضون تاريخيتها او يعالجون بتفاسيرهم الرمزية ما عثروا عليه فيها من المعجزات

وقد برز بينهم لسنغ (Lessing +١٧٨١) في الكفر عموماً وفي تحامله خصوصاً على السيد المسيح الذي لم يخجل من اتهامه بالمكر والخداع

وتعاقبت في القرن التاسع عشر مذاهب العقليين الكتابيين تكذّب بعضها بعضاً لا تتّفق الّا على انكار ما يفوق الطبيعة والهام الاسفار المقدّسة

امّا في يومنا هذا فهي الفوضى الفلسفيّة سائدة على اعداء الوحي فاذا ما استثنيت البعض منهم الذين يعتقدون روحانية النفس ووجود الخالق وضرورة الديانة ولو طبيعيّةً وجدتَ الباقين متفرّدين كلّاً بمذهبه فمنهم المادّيّ الشوني الذي يكفر بالله الواحد ويؤلّه مكانهُ الهيولى ومنهم الوضعيّ الذي يجزم بعجز العقل ليس فقط عن ادراك ما فاق الطبيعة بل عن كل معرفة تتجاوز العوارض الظاهرة

هذا ما آلت اليهِ فلسفة اعداء الوحي في أيامنا فشتّان ما بين الثريّا والثرى وشتّان ما بين السلف والخلف الّا انّ هذا الثمر من تلك الشجرة فمن ثمارهم تعرفونهم وهي اوّل حجّة نقيمها على غواية الكافرين بكلام الله · ارادوا الاستغناء عنهُ بالعقل المجرّد فتسكّعوا وعقولهم في اوهن الاضاليل واقبحها · حاولوا تذليل الوحي طلباً الى تعزيز العقل فما فازوا الّا بتذليل فلسفتهم المتعاقلة · خرّبوا فما شادوا · اعرضوا عن مناهل الحق الصافية فوردوا مستنقعات الكذب والافك فصدق فيهم قولهُ تعالى في شعبهِ المتمرّد : « انذهلي ايتها السماوات من هذا وانتفضي جدًّا يقول الرب · فانّ شعبي صنع شرّين تركوني انا ينبوع المياه الحيّة واحتفروا لهم آباراً آباراً مشقّقةً لا تمسكُ الماء » (ارميا ٢ : ١٢–١٣)

البقية لعدد آخر

تجنيس نسل البيضة في الهوامّ

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي (لاحق بسابق)

انّ كلامنا السابق عن بيض الطيور والاسماك والحشرات يحدو بنا الى البحث عن امر آخر غريب في بابهِ نريد القوَّة التي لبعض الهوامّ ان تختار تجنيس نسلها على حسب مرامها فتكون مواليدها ذكورًا او اناثًا كما ترغب أُمّها التي تنسلها · نعم انّ ذلك لا يعمّ كل صنوف الهوامّ لأنّنا نعلم انّ كثيرًا منها بل معظمها لا يشذّ عن القاعدة العموميَّة فتبيض الانثى ما قدّره لها الله دون اختيارها الّا انّ علماء الطبيعة ممّن درسوا طبائع تلك الهوامّ في كل اطوار حياتها تأكّدوا بعد التجارب المتوالية انّ بعضًا من انواعها قد خُصَّت بهذه القوَّة أي تجعل مواليد بيضها امَّا ذكورًا وامّا اناثًا. وهذه لعمري خاصَّة غريزيَّة تؤيّد ما قلناهُ عن عجائب اوهام الحيوان

وكأني اسمع هنا بعض ربّات البيوت يتنهّدنَ ويتحسَّرن قائلات : آه لو منحني الله منحة كهذه فألد فتية او فتيات على خاطري. كلَّا أيتها السيّدات فانّ العناية الالهيّة لم تمحكنّ ما منحتهُ لبعض اجناس الدويبات السافلة وكفى بذلك دليلًا على بطلان المذهب الدرويني الذي يزعم بانّ اجناس الحيوان الراقية تنال خواصّ الانواع التي دونها بل تكتنها · والامر هنا على خلاف زعمهِ وسنأتي ان شاء الله بادلَّة أُخرى تقوّض اركان ذلك الرأي. ولكن هاتِ الآن بعض امثلة اكيدة تثبت ما قدَّمناهُ في تجنيس نسل البيضة

واوّل مثل نوردهُ لتأييد هذا الرأي ما سبقنا ورويناهُ في الشرق السنة ١٩١٢ (١٥: ١٩١–١٩٢ وانظر الصورة ص ٤٠) حيث بيّنّا ان يعسوب النحل الاهليّة اي ملكتها اذا سرأت وباضت جعلت في نخاريب قرصها الشمعي بزر ذكور او اناث على ما تشاهد امامها نخاريب واسعة او ضيّقة · وليست تلك النخاريب صُنعَ الأُمّ بل صُنع عاملات النحل التي لا تصطنع عادةً الّا قليلًا من النخاريب الواسعة للذكور التي تملأها الملكة من بزر النحل الذكر وتملأ النخاريب الضيّقة ببزر الاناث العاملات ·

واذا ما أكثرت العاملات من التخاريب الواسعة صدفةً على شذوذ (١ كثر ايضاً عدد الذكور وانَّما تصبح كثرتُها آفةً لقفير النحل لأنَّ استحضار العسل واصطناع الشمع كلّهُ موقوف على العاملات فهنَّ اللواتي بخلاف الذكور يعمرن القفير ويُخصبنَهُ . وفي ذلك دليل واضح على انَّ اليعسوب تطبّق النسل على مقتضى ما وضعتهُ لها العاملات من تخاريب واسعة او ضيّقة كثيرة كانت او قليلة

وهذا الامر قد تحقّقهُ المربّون للنحل فانهم وضعوا لتحلهم خشارم صناعيّة يجعلونها في جوّارات ويسحبونها كما شاؤوا ويفرغونها من العسل بالادوات المختصّة بذلك دون ان يخربوا القفران . فاذا تفقّدوا اقراص العسل في الربيع او ردّوها في وقت الخريف الى أصونتها بعد تفريغها نزعوا منها التخاريب الواسعة المعدّة للذكور وابقوا الضيّقة ليزداد عدد الاناث العاملات

وقد تمكّنوا ان يرسموا في تلك الخلايا الصناعيّة رسوم الخلايا الضيّقة بواسطة قالب يختمون به قعر الخليّة فاذا باشرت العاملات بصنع التخاريب جرت على تلك الرسوم فاصطنعت تخاريب ضيّقة . وكل ذلك قد بناه ارباب النحل على علمهم بقوّة الملكة على تجنيس نسلها من ذكور او اناث كما تجد امامها تخاريب واسعة او ضيّقة

وان دقّقنا النظر في القفران الطبيعيّة التي تبتنيها النحل بغريزتهنَّ دون مشاركة الصناعة البشرية وجدنا انَّ العاملات دون الملكة يهتممنَ ببناية التخاريب فهنَّ وحدهنَّ يصطنعن تلك الثقوب واسعةً او ضيّقة كما يشأن فاذا مرّت الملكة وهي الامّ الوالدة بازاء الثقوب المذكورة وضعت فيها للحال بيضة ذكور او بيضة اناث كما تجد امامها التخروب واسعاً او ضيّقاً لا تُخطئ العمل حيثما مرّت

وان قال القائل انَّ بزر ملكة النحل يمكنهُ ان يكون ذكرًا او انثى حسب ما يكون الثقب الذي جُعلت فيه البيضة واسعاً اوضيّقاً . ردَّ ذلك ما ثبت بالتجربة وهو انَّ اليعسوب اذا جعلت احياناً صدفةً بيضة ذكر في التخروب الضيّق ترى الذكر

(١) وهذا الشذوذ من غرائب الامور التي لم يتوفّق ارباب علم الحيوان الى بيان سببها . وهو دليل واضح على جهل النحل وعدم ادراكه وينفي مزاعم الماديّين في فهم النحل .

ينشو الا انهُ يبقى صغيراً اذ لم يجد لجسمهِ السعة الكافية ليتمدَّد فيا قانونيًا. وبذلك يظهر دون ريب أن الملكة بطاق اختيارها الغريزي تنسل ذكوراً او اناثاً

وليست ملكة النحل وحدها قد خُصت بهذه الميزة ان تنسل نسلها على اي جنس شاءت . فانَّ الطبيعيين ولخص منهم بالذكر السيو فابر في كتابه المعنون « Souvenirs Etymologiques, III Série » قد اختبرا الامر عينهُ في عدَّة ضروب من الهوام وها نحن نقتبس من كتابهِ ما يؤيد قولنا السابق عن ملكة النحل

ولا بدَّ هنا من تنبيه قرَّائنا الى حذق هذا العالم الفرنسوي الذي تفرَّغ مدَّة سنين عديدة لدرس طبائع الهوام. ولمَّا نشر تآليفهُ الاولى في اخلاق الحشرات ألفت الى اقواله نظر دروين فتصفَّحها وبقي مرتابًا في مزاعمهِ في النشو. والتفت لابل كتب الى السيو فابر يهنئهُ باكتشافاته عن اوهام الحيوان وأكّد لهُ انهُ مستعدٌ لأن ينبذ تعاليمهُ في النشو او يصلحها اذا ما ثبتت ابحاث السيو فابر وتقررت بالامتحانات. وبذلك بيَّن دروين شأن العلماء الصادقين انهُ لم يقصد من مذهبه سوى بيان الحقيقة لكنَّ الموت عاجلهُ فلم يستطع ان يستفيد من دروس الكاتب الفرنسوي وتجاربه التالية

ومن المعلوم انَّ السيو فابر لا يكتفي بان يجمع ضروب الهوام ويغرسها بالدبابيس في عُلبة من الكرتون، مزروسة بالفلين مع تعريف جنس الحشرات وانواعها. كلَّا بل لا يحتوي بدرس صورة الحيوان وجسمهِ ومشاعره الخارجة واجهزته الباطنة لكنهُ يعمد الى الهوام الحيَّة ويبحث عن اوكارها وبيوضها ودودهـا ويتتبع كل حركاتها وسكناتها في تعيشها وطلب قوتها لنفسها وتجهيزها الطعام لصغارها وهو يقضي الايام الطوال ليرصدها في حياتها العامة في وسط الحقول وفي كل اطوار تلك الحياة. وربمَّا نقلها الى مخدعهِ، وهيَّأ لها امثالاً واقواتاً كما تجدها هي في الخارج ويُبقيت صغارها وبرباها في اكلها طعامها وفي نشأتها ونموها ونسجها لقبابها. وقد اتَّخذ أصونةً كبيرة ذات اسلاك معدنيَّة ناعمة فيجعل فيها الهوام المختلفة التامَّة البنية ويرعاها في احوال حياتها عند تجهيز اوكارها ووضعها لبيوضها وتهيئتها لذراريها القوت الموافق لها وصيدها للحشرات حيث تقتلها تارة قتلًا وحيًّا وتارة تبنّجها لتبقى لحومها طريّةً لصغارها. وهو يقدّم لها ما تحتاجهُ بعض الاجناس من الاطيان او من الابعار وروث

الحيل ولوازمها الأُخرى. واذا رصد تلك الهوام دوّن في دفتر يوماً بعد يوم ما لحظهُ من اعمالها العجيبة فردًا فردًا فيكتب بعد ذلك كتاباتهِ الشهيرة التي يضمّنها ادقّ الاوصاف عن طبائع تلك الهوام. فلا غرو ان كان دروين تأثَّر من هذه الدروس المحكمة فأعلن بأنّهُ مستعدّ لاصلاح ما في تقاريرهِ النشوئيّة من الآراء الضعيفة المخالفة لما ثبتت صحّتهُ بالتجربة العمليَّة

على انَّ تلامذة دروين لم يجروا على خطَّة استاذهم المجرَّدة عن الاغراض والاوهام بل بالغوا في مزاعم دروين ونكروا ما تقرَّرت حقيقتهُ بالامتحان لأنَّهم لم يريدوا ان يقرّوا بالاله الخالق كما اقرَّ بهِ دروين بل اتَّخذوا مذهبهُ كسلاح لينفوا الوحي الالهي ويجحدوا الايمان المسيحي. ناهيك بفعلهم دليلًا على سوء نيَّاتهم مع مخالفتهم لمبادئ العلم الصحيح

ولكن فلنعودنَّ الى ذكر الهوام التي قلنا عنها انها تستطيع ان تجنّس نسلها ذكورًا او اناثًا على حسب مرامها. فمنها ما يشبه النَّحل في استعدادها للعسل من الازهار لتطعمهُ صغارها ولذلك ادخلوها في الفصيلة النحليَّة (les Apiaires) الَّا انَّها لا تعيش كالنحل مجتمعة في اكوار بل تُعنى كلُّ انثى بموالیدها بعد التقاحها من الذكر. وكذلك لا تجهّز على شبه النحل اقراصاً ومخاريب لتودعها العسل مع بيضة تتحوّل دودة ثمَّ هامَّة طائرةً لكنها تتَّخذ لنسلها ثقوباً في الارض او تعشّش في المقاصب اليابسة او مخاريب الصخور. امَّا اذا ادطنت الحامَّة وكرها فهي تجعلهُ على شكل بوتقة صغيرة وتدهنهُ لئلّا تنفذ فيهِ الموائع ثم تضع في قعرهِ قليلًا من العسل الممزوج بزغبر الزهور ولقاحها ليكون المركَّب كالمعجون وكافيًا ثمَّ تودع فوقهُ بيضتها وتختم رأس البوتقة بقليل من الطين. ثمَّ تُشيّد خليَّة أُخرى بقربها او بمحلّ آخر على اختلاف ضروب الهوام ثمَّ تضيف اليهما ثالثة ورابعة الى العشر او الاثني عشرة خليَّة

وتعمد اناث بعض الحشرات الى اوكار قديمة شيَّدتها هوامّ اخرى في السنين السابقة فترمّمها وتصلحها وتدهنها ثمَّ تموّنها وتجعل فيها بيضها

والغريب في كل ذلك ما تحقَّقهُ المسيو فابر في أُصوتتهِ بعد مراقبة احوال الهوام من الاجناس المدعوَّة « اوسمي وأَنثيدي وخليكودوم وانثوفور » (Osmie, Anthidie, Chalicodome, Anthophore) فلحظ فيها :

(اولًا) اذا ما كان الذكر في احد هذه الاجناس اكبر من الانثى لا يوجد في النخاريب الكبيرة غير الذكور وفي الصغيرة غير الاناث. وذلك دليل على انّ الامّ بتشييدها الخلايا كانت تشعر بما ستجعله فيها من احدى البيضتين الذكر او الانثى

(ثانياً) في الاجناس التي تصنع الامّ خلاياها كلها متساوية للذكور والاناث حيثما تكون الذكور اصغر جسماً تجد قوتاً اوفر جدًّا في خلايا بيض الذكور . وهو ايضاً دليل ساطع على انها كانت تحسّ بما ستودعهُ في تلك الخلايا من البيض

(ثالثاً) امّا الاجناس العديدة التي تكون فيها الاناث اكبر من الذكور فانّ الامّ تضع في خلايا الاناث قوتاً اوفر من خلايا الذكور

(رابعاً) اذا كانت الخلايا في آلة اسطوانيّة مقفلة في احد طرفيها كالقصب مثلًا بحيث تركب الخلايا بعضها على بعض ترى خلايا الاناث كلّها في الطبقة السافلة والذكور في الطبقة العليا قريباً من الطرف المفتوح. والسبب في ذلك انّ الذكور تبلغ تمام بنيتها اربعة او خمسة ايام قبل الاناث فلا بدّ لها من الخروج من خلاياها فلو وضعت الامّ بزرها تحت خلايا الاناث لأوصد دونها الباب بتوسّط تلك الخلايا بينها وبين الفضاء. فتهلك لا محالة قبل ان تبلغ الاناث تمام جسمها فتطير وتفتح لها المجاز. فبوضع الامّ خلايا الذكور فوق خلايا الاناث اشعرت بانها كانت تميّز بين الذكور والاناث وتختار بينها على حسب ونموها ليكون المجاز حرًّا فارغاً للذكور قبل الاناث

وهذه امثلة تنفي كل شبهة عن قولنا. يوجد بين انواع هامّة الحليكودوم صنفٌ لا تبني فيه الأمّ بابتناء اوكار جديدة لوضع نسلها وانّما تستفيد من اوكار سبق الى عملها غيرها من الهوام في الاعوام السالفة . فخلايا هذه الاوكار تكون مختلفة جدًّا من حيث سعتها وضيقها امّا لتلف بعضها بفعل الامطار والانواء. وامّا لاسباب اخرى بحيث تكون مثلًا الخلايا الواسعة بنسبة واحدة الى خمس او على عكس ذلك تكون الخلايا الصغيرة بنسبة ستّ خلايا ضيّقة الى خليّة كبيرة واحدة . فالامّ اذا حاولت وضع بيضها في تلك الخلايا وضعت ابدًا بيضة ذكر في الخليّة الواسعة وبيضة انثى في الضيّقة دون مراعاتها لكثرة الخلايا او قلّتها. وقد تأكّد المسيو فابر الامر في مئين من اوكار هذه الحشرة وفيه دليل واضح على انّ الامّ تستطيع ان تجنّس نسلها بالذكور او الاناث على حسب مرامها

ودونك مثلاً آخر نأخذهُ من صنيع حشرة « الانثيدي » فانَّ هذه الهامَّة اعتادت ان تشيد خلاياها في بيت الحلزون الفارغ ومن المعلوم انَّ مدخل هذا الصنف اوسع من قعرهِ والهامَّة لا تصنع الَّا خليَّتين في كل حلزونة: خليَّة واسعة في الامام وخليَّة ضيّقة في المؤخر فاذا باضت الامّ جعلت بيضة الانثى مطلقاً في الخليَّة السُّفلى لانَّ الانثى اصغر في هذا الجنس من الذكر الذي تجعل بيضتهُ في الخليَّة العليا الواسعة

فينتج عن هذه الامثال وغيرها ايضاً لا سبيل الى جحودها انَّ اناثاً متعدّدة من الحشرات مخيَّرة في وضع بيضها بين الذكور او الاناث كما طُبعت عليها غريزتُها

على أنَّنا بتأكيدنا لهذا الامر لسنا نزعم انَّ تلك الحشرات تدرك ما تفعل كلَّا وانَّما ذلك من افعال الوهم العجيب الذي خصَّهُ بها الخالق لحفظ كيانها وتخليد انواعها فتجري عليهِ مدفوعةً من طبيعتها

ومن الهوام ما يموّن خلايا مواليدهِ بحشرات يصطادها لها بدلاً من العسل كما رأيت في النحل واشباهها. وهي جوارح الهوام. فالبعض منها كالدَّبْر الفخّار (pélopée) الذي وصفناهُ سابقاً (ص ٥٢) يختار لصغارهِ العناكب الصغيرة التي يركمها على بعضها ويجعل فوقها بيضةً ويختم الخليَّة. والبعض الآخر يخزن في خلايا مواليدهِ الصَّراصر الصغيرة. ومنها ما ينضّل الدود المختلفة الحجم. وغيرها تبلغ بهِ جرأتهُ الى ان يسطو على الحشرة المسمَّاة جمل اليهود (mante) فيقهرها ويجرُّها الى وكرهِ

فكلُّ هذه القرائس التي تصطادها الهوامّ على اختلاف اجناسها وتخزنها في اوكارها لمعاش صغارها تجعل معها الهامَّة بيضةً واحدة في كلّ خليَّة. امَّا تلك البيضة فيمكننا سلفاً ان نعرف جنسها أهي بيضة ذكر او بيضة انثى. وان سألت كيف الوقوف على الامر؟ أجبنا يكفي لتمييز جنسها ان ننظر الخلايا ومؤنتها فان كانت المؤنة كثيرة متوفّرة فالدليل انَّ الخليَّة ستوضع فيها بيضة انثى وان كانت قليلة فتلك للذكر. وفي كلا الحالين دليل على ان الام مخيَّرة بوضع بيض الذكور والاناث كما يسوقها اليهِ وهمها

ولنا في ذلك مثال في جنس الهوامّ المعروف بالأومان (euméne) وهو من فصيلة الهوام المتبسطة الاجنحة (hyménoptére) لونهُ كلون الزنبور اسود واصفر

وهو قرن مستطيل القامة والقسم الاسفل من بدنهِ كالدبر الفخار يلتصق بشلوهِ بواسطة جهاز مستدق واذا اصطنع خلاياهُ من الطين عجنها بقوائمهِ ثم ملأها بدود صغير لا تبلغ الدودة سنتمترًا. وتكون الدودات حينًا خمسًا وحينًا عشرًا فالخلايا ذوات الخمس لا يدع فيها سوى بيض الذكور وذوات العشر كلها للاناث واذا انتهت الام من جمع المؤونة وضعت في قعر الخلية بيضتها وفقًا لجنس مولودها ما يبين جليًا بانها تلقي الذكور او الاناث كما تشاء باختيارها الغريزي

وقد لحظ المسيو فابر هذه القوة الاختيارية في تجنيس النسل في طوائف عديدة من الهوام. وذلك انهُ كان يعمد الى اوكار تلك الدويبات فيرقب صغارها عند انتهائها من أكل قوتها او بعد استحالتها الى دودة وكان يجعل ارقامًا لكل خلية حتى اذا جاء الربيع وبلغت الدودة كمالها بنبات اجنحتها ميَّز جنسها من انثى او ذكر. وكان يفتح اثر ذلك الخلية التي خرجت منها الهامة المجنحة فيفحص ما ابقتهُ في الخلية من بقايا الطعام لأنَّ الدودة لم تأكل من كل فريسة غير اطرافها اللينة امَّا غلاف الرأس والقدمان والجلد الصلب فانَّها تنبذها وتتركها في قعر خليتها. فكان المسيو فابر يُحصي هذه البقايا فيعرف بذلك كم من فريسة افترستها فإن كانت الفرائس عشرًا تحقق انَّ منها خرجت هامة انثى امَّا الخلايا ذوات الخمس الفرائس فكانت ابدًا للذكور. وعلى هذا المنوال كان يمكنهُ ان يعرف كمية طعام كل جنس فيجد انَّ طعام الذكور هو نصف او ايضًا ثلث طعام الاناث. والامّ بجمعها ذلك الطعام وتقديرها لكميتهِ كانت تهيّئ لكل جنس ما يحتاج اليهِ من القوت لانها تعرف يومها انها ستجعل في الخلية ذكرًا او انثًا قبل ان تختم تلك الخلايا بل قبل ان تبيض بيضها

وهذه الحقيقة لا تظهر في كل اجناس الهوام فانَّ بعضها تلقي بيضتها على فريسة واحدة سواء كانت البيضة ذكرًا او انثى فلا يمكن القول والحالة هذه انَّ الامّ شاعرة بجنس مولودها قبل وضعهِ. وانَّما تلوح في كل جلائها في الاصناف التي سبق وصفها والتي تسبق الام وتهيّئ لصغارها كميات مختلفة من القوت للاناث او للذكور اذ انَّها لو لم تشعر سابقًا بما ستضعهُ من البيض امَّا ذكور او اناث لما أمكنها ان تحدد تلك الكميات المتباينة لكل جنس منها. فيا لله ما اعظم تلك الهبة التي منحها الله هذه الهوام كأنها تعلم سابقًا ما يجري في رحمها وتستطيع ان تجنس نسلها

فيها على حسب مشيئتها. وهي لعمري احدى عجائب وَهم الحيوان

فخلاصة الكلام ما اختصره السيو فابر في كتابه المنوَّه به (III^e Série, p. 426 et 433): « انَّ الهوامّ التي تختار لمواليدها قبل وضعها ما يوافقها من سعة الخلايا وكمية الاقوات على حسب اجناسها من ذكور او اناث كالنحل وما اشبهها من الهوام الموصوفة سابقاً انَّما هي قادرة على تجنيس نسل بيضها على مقتضى ارادتها طبقاً لما تجدهُ امامها من الخلايا فتضع كل جنس في مكانهِ حتى انَّ الخلايا لو كانت كلّها او معظمها واسعةً اودعت فيها بيوض ذكور حتى ينحصر عدد الاناث بل يُنفى تاماً والعكس بالعكس. فهذا دليل ساطع على انَّ تجنيس النسل موقوف على اختيار الامّ

« وهذه الخاصّة ذاتها قد مُنحتها الهوام المتبسطة الاجنحة التي تُقيت صغارها بما تصطادهُ لها من الحشرات والحيوينات على الاقل الاجناس التي تختلف فيها الاناث عن الذكور بكبر جسمها فيحتاج بعضها الى قوت اوفر او اقلّ. فلولا انَّ الامّ تعلم سابقاً بوهمها بما ستبيض في كل خليَّة من ذكور او اناث لما استطاعت ان تهيّئ لكل جنس كميَّتهُ من القوت

« ويقال بالاجمال انَّ كلّ هامَّة لها مواليد ذكور واناث متباينة الجسم فينبغي عليها ان تهيّئ سلفاً لكل من ذراريها منزلةً وطعامهُ لا تقوى على ذلك الّا بان تكون مفوَّضة بتجنيس نسلها لتوفّق دون غلط بين ذلك النسل والاحوال الخارجة المتسلّطة عليها

« وان سألني السائل ان اعلّل ذلك واشرح كيفيَّة الامر كان جوابي سلبياً لاني لستُ فيلسوفاً يبحث عن اسباب الاشياء. وانَّما انا راوٍ اروي عجائب الطبيعة كما رأيتها بالعيان. لا بل اني لأرى في تعليل اولئك الفلاسفة خللاً عظيماً لعدم موافقتهِ لما يجري في عالم الكون بحيث اضحيتُ لا أثق بتلك الآراء الفلسفيَّة. وعلى قدر ما اتعمّق في درس هذه الهوامّ واتّسع في الامتحانات يزيد ارتيابي في صحَّة تلك المذاهب الخياليَّة فلا ادري الجواب الصحيح على علل الكائنات الوضعيَّة »

فحسبنا هذا القول لنفي المذاهب الدروينيَّة وما شاكلها وهي كلها مبنيَّة على الحدس والتخمين وذلك ما لا يرضى بهِ السيو فابر فانَّهُ كالعلماء الاثبات يكتفي

بدرس كتاب الطبيعة الذي تلوح فيهِ الحقائق الراهنة المثبتة بحكمة الخالق على خلاف اولئك الخياليين الذين يقدّمون اوهامهم على درس الطبيعة ويُسكتون صوتها لتغليب آرائهم الباطلة

الطهارة النصرانيّة

نقلم للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ ما كتبهُ صاحب المصوَّر في حقّ النصرانيّة وما نسبهُ اليها زورًا من الفحشاء قد حدا بنا الى كتابة فصل نبيّن فيهِ ما خُصّت بهِ الديانة المسيحيّة من الطهارة حتى اصبحت الطهارة والنصرانيّة كاسمَين مرادفين يلزم كلٌّ منهما الآخر

ظهر السيّد المسيح والشرك الوثني قد طبّق وجه المعمور فزرع في كل انحائهِ فساد الاخلاق وارجاس القلوب واستسلام الاجساد للفجور حتى كادت الطهارة لا تدع في الارض بقعة خالية من فظائع النفس الامّارة. فهذه تواريخ الرومان واليونان وهي طافحة من اخبار الفحشاء السائدة بين طبقات البشر مباشرةً بالقياصرة انفسهم الذين جعلوا قصورهم مآوي لصنوف القبائح حتى الارجاس المنافية للطبيعة كما يخبر المؤرخون عن طرايان وادريان وكلاهما من افاضل القياصرة. وقس عليهِ بقيّة اعيان الرومان وسَدَنة هياكلهم الى آخر طبقات الشعب وغوغاء القوم دون استثناء حكمائهم وفلاسفتهم الذين وصفهم الرسول بهذا الوصف الصادق ووسمهم بسمة العار بقولهِ (رومية ١: ٢١—٣١): «انهم لمَّا عرفوا الله لم يمجّدوهُ ولم يشكروهُ كإله... وقد زعموا انّهم حكماء فصاروا حمقى واستبدلوا مجد الله الذي لا يدركهُ الفساد بشبه صورة انسان ذي فساد وطيور وذوات اربع وزحّافات ولذلك اسلمهم الله في شهوات قلوبهم الى النجاسة لفضيحة اجسادهم في ذواتهم... اسلمهم الى رأي مرذول حتى يعملوا ما لا يليق ممتلئين من كل اثم وشرّ وزنى... لا فَهمَ لهم ولا نظام ولا ودّ ولا عهد ولا رحمة». وان شئت البيّنات على قول الرسول حسبك ان تنظر حولنا آثار الفحشاء الوثنيّة: هذه افقا مركز هيكلٍ مبنيّ لتقديس الخلاعة

والنجاسة تحت كنف عشاروت والزهرة. هذه جُبَيل مقام ادونيس اله العشق الدَّنِس. هذه بعلبكّ وهيكلها الفخيم الملطّخ بكل اقذار الوثنيَّة. وكذا قل عن كل سواحل فينيقية بل حيثما رفُف النسر الروماني ورعى بحمايتهِ الاديان الاسيوية الجامعة لكل مآثم الاقدمين

*

وُلد الطُهْرُ يوم مولد عيسى والمروآتُ والهدى والحياءُ
وازدهى الكونُ بالوليد وضاءت بسناهُ من الثرى الارجاءُ
وسرتْ آيةُ المسيح كما يَسْـري من الفجر في الوجود الضياءُ (شوقي)

تلك آيةُ المسيح التي عُرف بها واختارها ميزةً لشخصهِ الكريم ولاهل دينهِ المستقيم اعني الطهر والنقاوة. فانهُ وُلد جلَّ جلالهُ من والدةٍ عذراء. اختـار لهُ ابًا بالذخيرة شبيهًا بالعذراء مريم في طهارتهِ وعفافهِ. اتّخذ لهُ سابقًا امام وجهـهِ يوحنَّا المعمدان الذي قدَّسهُ في احشاء والدتهِ ومات شهيد الطهارة لدفاعهِ عن حقوق سرّ الزواج الطاهر. اصطفى لهُ من التلاميذ والحواريين قومًا من ذوي الصلاح شهد لنقاوتهم (يو ١٣: ١١) واحبَّ منهم اعظمهم طهرًا يوحنَّا الحبيب لانهُ كان بتولًا واليهِ سلَّم امَّهُ الطاهرة على الصليب (يو ١٩: ٢٣). افتتح دعوتهُ لبني اسرائيل بتطويب الطهارة بقولهِ (متى ٥: ٨): «طوبى للانقياء القلوب فانَّهم يعاينون الله». لم يكتفِ بتحريم الزنى بل حرَّم الفكر بهِ وبمجرَّد النظر الى المرأة على سبيل الشهوة. هو وحدهُ امكنهُ في وسط كل اعدائهِ ان يفحمهم بقولهِ (يو ٨: ٤٦): «من منكم يثبت عليَّ خطيئةً». وان كان اولئك الاعداء اخذوا عليهِ انهُ يأكل مع الخطأة ويتردَّد معهم كان جوابهُ حاضرًا انهُ هو الطبيب الذي اتى ليدعو الخطأة ليشفيهم من اسقامهم الادبيَّة ويردَّ قلوب الابناء الى ابيهم السماويّ بالتوبة النصوح. وقد بلغ بهِ حبُّهُ للطهارة انهُ اراد انَّ جسدهُ الطاهر لا يسكن زمنًا قليلًا بعـد موتهِ الَّا في قبرٍ جديد لم يوضع فيهِ احد قبلهُ (يو ١٩: ٤١)

وكما كان مثال الطهارة في كل حياتهِ اراد ان يمتاز تلاميذهُ بطهارة السيرة. وضع لهم اسرارًا تنشئ في قلوبهم البرَّ والصفـاوة. وضع لهم سرَّ العماد ليستأصل من

تنزّسهم الخطيئة الاصليَّة. أيدهم بالروح القدس في سرّ التثبيت ليجاهدوا الجهاد الحسن ضد قوّات الارواح النجسة وشهوات العالم. منحهم سرّ التوبة حتى اذا خطئوا بفعل الضعف البشري لرعوا بالندامة تائبين الى ربّهم قانتين. اعطاهم خبز الملائكة ومنّ السماء (يو ٦: ٣١–٥٢) برّ المختارين والسُّلاف التي تنبت العذارى (زكريّا ١٧:٩). اعطاهم الزواج الطاهر ذا العروة الوثقى غير المنفصمة بالطلاق والذي يزيّن بالعفاف حياة الزوجين ويشرّف العيال المسيحيَّة. اقام لهم كهنوتاً طاهراً تتدفَّق الطهارة من معينه في اربع خوافق المعمور ويفرض غالباً على ذويه العفَّة التامَّة. فتح لهم اخيراً باب النعيم بعد ان يمسح الكهنة بالزيت المقدَّس اعضاءهم لئلَّا تبقى فيها تبعة الخطيئة (يعقوب ٥: ١٤)

وكل هذه الاسرار قد اودعها المسيح كنيستهُ التي اتّخذها كعروسهِ الزوجيَّة « فاحبَّها وبذل نفسهُ لاجلها ليقدّسها مطهّراً ايَّاها بغسل الماء وكلمة الحياة ويهديها لنفسه كنيسةً مجيدةً لا كلَف فيها ولا غضن ولا شيء مثل ذلك بل تكون مقدّسةً منزّهةً من كل عيب » (افسس ٥: ٢٥–٢٧)

هي كنيسة المسيح التي نشرت بعد صعود عروسها الالهي الى السماء راية الطهر والقداسة فما حلَّت في بلادٍ او مدينةٍ او قريةٍ الَّا جعلت ميزتها البرّ والعفاف. قال الرسول بولس المصطفى لاهل كورنتس (٦: ٩): لا تضلُّوا فانَّهُ لا الزناة ولا عبّاد الاوثان ولا الفسّاق ولا المفسدون ... يرثون ملكوت الله وقد كان بعضكم كهؤلاء. ولكنَّكم قد اغتسلتم وتقدَّستم وبُرّرتم باسم ربنا يسوع المسيح وبروح الهنا. الذي « بذل نفسهُ لاجلنا ليفتدينا من كل اثم ويطهّر لنفسه شعباً غيوراً على الاعمال الصالحة » ومثلهُ كان يحرص بقيَّة الرسل على المدعوّين للنصرانيَّة حتى انَّ بطرس الصفا في رسالتهِ الاولى (٢: ٤–١١) لم يأنف ان يوجّه بهذا الكلام الى المؤمنين: « كونوا انتم ايضاً مبنيّين كالحجارة الحيَّة بيتاً روحيّاً وكهنوتاً مقدَّساً لإصعاد ذبائح روحيَّة مقبولة لدى الله بيسوع المسيح ... انتم جيلٌ مختار وكهنوت ملوكي وأمَّة مقدَّسة وشعبٌ مقتنًى لتخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة الى نورهِ العجيب ... فأسالكم ان تبتعدوا عن الشهوات التي تحاربُ النفس »

تلك كانت دعوة الرسل للنصارى الاوَّلين. وعلى مثالهم جرى خلفاؤهم فلا ترى

في اعمال الآباء وفي تعاليم الملافنة ومواعظ الخطباء شرقاً وغرباً وجيلاً بعد جيل الى يومنا الّا التحريض المتواتر على لزوم الطهارة والتجرُّد عن الشهوات الباطلة. فلو اردنا ان نجمع ما كُتب في الكنيسة المسيحيَّة منذ القرون الاولى للنصرانيَّة من عهد اقليميس واغناطيوس واوريجانس وترتليان الى عهدنا عن الطهارة في كل مظاهرها لألّفنا مكتبة واسعة تضاهي اكبر الخزائن الكتبيَّة . ولا غرو فان الفم ينطق كما قال السيّد المسيح من ملء القلب (متى ١٢: ٣٤)

وليست تلك التعاليم ميتةً مطويةً في بطون الكتب لكنّها حيّةٌ ناطقة مؤثرة في القلوب فالكنيسة لا تزال تدعو ابناءها الى الطهارة بكل الوسائل . تدعوهم اليها باسرارها المقدَّسة مصدر القداسة وينبوع الطهارة . تدعوهم اليها برُتبها الجميلة التي تحيي في النفوس ذكر البرّ والصلاح . تدعوهم اليها بالتصاوير التقويَّة المزيّنة بها جدران هياكلها التي تمثل غالباً الطهر والعفاف او جهاد القديسين في سبيل البرّ ليفوزوا بنفوسهم بتضحية كل شهوات العالم . تدعوهم اليها بطقوسها واعيادها المتَّصلة في عامَّة السنة كسلسلةٍ سماويَّة تعتصم بها النفوس . تدعوهم اليها باعمال التوبة كالصوم والانقطاع عن بعض المآكل الدسمة ليعرف المؤمن ان يقمع اهواء قلبه ويؤوب الى الله بانسحاق القلب وتجديد حلَّة برارته بغسلها بدموعه وبدم الحمل الالهي . تدعوهم اليها بمواعظ رُعاتها وبالرياضات التقويَّة والتفرُّغ لتأمل حقائق الآخرة وبتخصيص فئة من رجالها لا همَّ لهم الّا صيانة كنز الطهارة في قلوب المؤمنين ورحض النفوس من ادرانها لتكون هياكل مقدَّسة يسكنها الروح القدس بنعمته ويؤهلها لفردوس الابرار

فمن يجسر يا تُرى ان يقول — الّا الكاذب المنافق او الجاهل المطبّق — بان هذه الوسائل قليلة او قاصرة فيحتجّ بمثال بعض الجهّال من النصارى الذين رغماً عن الكنيسة وارباها يطلقون العنان لشهواتهم القبيحة كأنَّ النصرانيَّة هي المسؤولة عن اعمال هؤلاء الاشرار وهي اوّل من يتأسف لمآثمهم بل ربَّما رشقتهم بسهام حرومها واوجبت عليهم عقوباتها الروحيَّة وزواجرها الادبيَّة رافعةً حكمهم الى المسيح الديّان في يوم الحساب حيث ينالون الجزاء عمَّا اقترفوهُ من الذنوب

على انهُ والحمد لله ليس هؤلاء بالعدد الاوفر . فانَّ ابناء كنيسة المسيح قد عرفوا

في كل آونة وازمنة انَّ في الطهارة عزَّهم وشرف دينهم فلصَوْن تلك الجوهرة الثمينة ضَنًّا بكل نفس ونفيس

فليت شعري ما الذي حمل الألوف المؤلَّفة من شهداء النصرانيَّة على اقتحام كل عذابات المتصبين الّا فرارهم من ادناس الوثنيَّة واقذارها الدنسة فآثروا الموت كراماً على كل الملاذّ المحرَّمة :

يستعذبون مناياهم كأنّهم لا ييأسون من الدنيا اذا قُتلوا

وكثيرًا ما كان يترصَّد المضطهدون لعفاف النصارى فضلًا عن دينهم . فليقرأ من احبَّ تراجم تلك العذارى الصالحات اللواتي جاهدن جهاد الابطال عن كنز طهارتهنَّ لم يكترثن لا للوعد ولا للوعيد فقضين في عزّ شبابهنَّ ونلن بموتهنَّ اكليلًا مضاعفاً اكليل الاستشهاد واكليل البتوليَّة . هذه اكويلينا الجبليَّة . هذه كاترينا الاسكندريَّة . هذه سيسيلية الرومانيَّة . هذه اغاثا الصقليَّة . فكلهنَّ وربوات مثلهنَّ تفتخر بهنَّ كل بلاد النصرانيَّة وتتقلَّد آثارهنَّ

وان انتقلت مذ اوائل القرن الرابع للمسيح الى القرون التالية فتوغَّلتَ براري جزيرة العرب والعراق وما بين النهرين او قفار اوربة لرأيت قوماً لا يفي بهم احصاء من رجال ونساء بينهم الملوك والاشراف والعلماء والفتية والفتيات في زهرة العمر فكل هؤلاء ماذا قصدوا بخروجهم من العالم بزهدهم في حطام الدنيا بنبذهم كل ملاذّ الحياة بعيشهم الشظف التقشف سوى حفظ طهارتهم من وباء العالم الشرير . فازهرت بهم الصحاري والقفارات التي حوَّلوها الى حدائق سماويَّة عطَّرت الشعوب باريج فضائل اصحابها

ومثلها الاديرة التي كان يتقاطر اليها الجماهير من المسيحيين ليعيشوا فيها عيشة الملائكة في اجساد بشريَّة . وهذه الاديرة تُعدّ بالالوف في كل انحاء المسكونة وكثيرًا ما فاح اريج فضل ساكنيها في جهات الشرق وبهمَّتهم سلمت العلوم القديمة كما سلمت الآداب بمثال مناسكهم وقداسة حياتهم

وبين هؤلاء الصالحين نفوس تمشَّقت العفاف والعبادة فبرَّزت في هذا الميدان الروحيّ . فكلٌّ من يتفوَّه باسماء لويس غونزاغا واستنسلاوس كستكا ويوحنَّا بركانس وترازية ووردة اميركا يتعطَّر لسانهُ بذكرى طهرهم الملائكي فاقتصَّ الوف

من الشبان آثارهم وتقلّدوا فضائلهم ومبرّاتهم وماتوا ناشرين ألوية البرارة لم يدنّسوا ثوبهُ بشائبةٍ مهما كانت صغيرة

وليس عصرنا هذا رغماً عمّا انتشر فيهِ من الفساد بمساعي اهل الكفر خالياً من فئات المسيحيين التابعين للحمل الطاهر وللبتول الطاهرة بالعيشة البارّة المنزّهة عن كل عيب صارخين مع الشاعر :

فالمنايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب الخنا ركوب الجنازه

أدخل ان شئت ان تختبر الامر في دير راهبات السجود او راهبات المحبّة او راهبات العجّز او ايّ ديرٍ كان فليس تمدُّ نفسك في عالم اسمى وارفع من عالمنا هذا اعني عالم النقاوة والفضيلة والعيشة الملائكيَّة

وكم عرفنا من شبّان وشابّات ترى على محيّاهنّ ملامح النقاوة وصفارة القلوب يشعر من يتقرّب اليهم بعواطف سامية شريفة تنسيه الارض ودناءتها . اذا سمعوا كلمة مستهجنة او رأوا فعلاً قبيحاً نفروا منهُ نفور المرء من الدّ اعدائه وعدُّوا العالم وكنوزهُ كزبل بمثابة كنز طهارتهم

ولا نقول ذلك على سبيل الحدس والتخمين فانّا نحن الكهنة نبلغ الى اعماق القلب البشري ونشاهد مكنوناته وطيّاته . فكم من مرّة شكرنا الربَّ على ما وجدنا في نفوس الاخيار من البرّ والطهارة وتحقّقنا انّ لله اصفياء لم يسقطوا قطّ في اشراك شيطان الخلاعة بل كادوا لا يعرفون اخفّ الخطايا والزّلات

وكما عرفنا الطهارة في الافراد بل وجدناها في معظم العيال المسيحيَّة فانَّ الزواج المقدَّس ربط القلوب بروابط امتن من علاقات الاجساد فدخلت الفضيلة في تلك البيوت وجعلت كل اهلها متمتّعين بسعادة الحياة الصالحة ونفت عنها كل دواعي النفور مشاطرين بعضهم السرَّاء والضرَّاء بالصبر والتؤدة مباركين لله في كل ما تقدّره عنايته الابويَّة

فالشكر كل الشكر لكنيسة المسيح التي رفعت بين الشعوب منار الطهارة واظهرت للعالم فضل البرارة فانها وحدها التربة التي تنبت فيها زنبقة العفاف وتحبّب الى النفوس السيرة الفضلى وتؤهلهم الى العيشة السماويَّة بصحبة الملائكة والابرار والحظوة بنظر الله الذي لا يماينهُ وجهاً لوجه الّا انقياء القلوب

مطبوعات شرقية جديدة

Histoire de la Civilisation par **Henry Joly**. Paris, Bloud et Gay, 1914, VIII-311

تاريخ الحضارة

المسيو هنري جولي احد اعضاء الاكادمية الفرنسويّة ومن الكتبة المتازين. على انّهُ لم يصنّف هذا الكتاب للعلماء بل لناشئة وطنهِ ليوقفهم في صفحات قليلة على مجمل تاريخ الحضارة في العالم منذ الامم الاولى الى عهدنا وقد افتتح كتابهُ بفصل في تعريف الحضارة وموضوعها واساسها وحدودها. ثم تتبّع الامم من قديمة ووسطى وحديثة في الشرق والغرب وروى بالاجمال ما افادت بهِ الحضارة بانشاء المشاريع العموميّة في كل فنّ من آداب وتعليم وفنون جميلة ومنشئات خيريّة وغير ذلك. مبيّناً ما لكل منها من الفوائد او ما صدر عنها من الاضرار. وهو يتّسع خصوصاً في وصف الحضارة النصرانيّة ويثبت فضلها على الحضارة الوثنيّة من وجوه شتّى وذلك بفضل الدين المسيحي الذي لم يقصر نظرهُ على الحضارة الماديّة كالامم الوثنيّة لكنّهُ سعى طاقة جهدهِ في تحسين احوال الشعوب وترقية الآداب وتأسيس الفضيلة في قلوب البشر. وقد خصّ بوصفهِ للحضارة الفرنسويّة وبيّن ما نالهُ تمدّن فرنسة من فضل ساقتها وارباب دينها الكاثوليكي ... ولا يسكت عمّا يجدهُ في بلادهِ من الخلل منذ تغلّبت عليهِ الثورة الفرنسويّة وخفّت سلطة الدين. فترى من هذا ان الكاتب فيلسوفٌ اكثر منهُ تاريخي وذلك ممّا يزيد كتابهُ نفعاً لكل قرّائهِ. وهو من الكتب التي تستحقّ ان تُنقل الى العربيّة ليستفيد منهُ الشرقيّون الفوائد الجمّة التي تهمّهم كما تهمّ الغربيين

الاب غ. نيرون

The Pearl-Strings: A History of the Resúliyy Dynasty of Yemen by **'Aliyy'ubnu'l-Hasan el-Khazrejiyy**. The Arabic text edited by **Shaykh Muhammad 'Asal** (E. J. W. Gibb Memorial) *vol. IV*, 1913, *Luzac*, *London*, XII-442

كتاب العقود اللؤلؤيّة في تاريخ الدولة الرسوليّة

هو تاريخ فريد في بابهِ وضعهُ الشيخ عليّ بن الحسن الخزرجي المعروف بالنسّابة

المتوفى سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) وضمَّنهُ اخبار بني الرسول احدى الدول اليمنيَّة المنتسبة الى بني غسَّان. وكان هذا الكتاب اعزَّ من بيض الانوق لم تُعرف منهُ الّا نسخة واحدة في خزانة كتب الهند في لندن فاطَّلع عليها الدكتور سير جيمز ردهوس (Sir James Redhouse) فكَلِف بها وشرع في نسخها بخطّ يدهِ ثمَّ نقلها الى الانكليزيَّة وذيَّلها بالحواشي المفيدة واضاف اليها الفهارس لكنَّ الموت حال دون رغبتهِ في نشر هذا الاثر الجليل فتولَّت جمعيَّة المرحوم جب نشرهُ على ذمَّتها فطُبِعت اوَّلًا الترجمة الانكليزيَّة والفهارس في ثلثة مجلَّدات بسعي ثلاثة من المستشرقين (E.G. Browne, R. A. Nicholson et A. Rogers) امَّا الاصل العربي فعُني بنشرهِ بعد تصحيحهِ وتنقيحهِ الشيخ محمَّد بسيوني عسل احد خرّيجي دار العلوم الخديويَّة ومدرّس اللغة العربيَّة في كليَّة كمبردج بانكلترة فاصدر منهُ آخرًا قسمهُ الاوَّل وفيهِ اخبار الدولة المعروفة بالرسوليَّة المنسوبة الى محمَّد بن هارون الملقَّب بالرسول الذي دخل في خدمة الخليفة المستنجد بالله وحارب اليمن كاحد عمَّال بني عبَّاس ثمَّ قام بعدهُ ابناؤهُ فاستقلُّوا في الحكم وملكوا على اليمن من السنة ٦٢٦ الى ٨٥٨ هـ (١٢٢٩–١٤٥٤ م). وفي هذا القسم خلاصة ما يُعرف عن اصل تلك الدولة ثم تاريخها الى سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م). فلهذا الكتاب منافع جمَّة وهو مطبوع في مطبعة الهلال في مصر طبعاً جيدًا ولكن دون اقسام أُخرى طُبعت سابقًا طبعاً اتقن كتاريخ ابن عمر الكندي ولاة مصر وقضاتها الذي طُبع عندنا. كما انهُ يحتاج الى بعض شروح وملحوظات في ذيل الكتاب سها عنها الطابع

ل. ش

L'EGYPTE MONUMENTALE ET PITTORESQUE par C. Lagier. Vromant C^ie^, Bruxelles, 1914, pp. 240

مصر العاديَّة الرائعة

الاب كاميل لاجيه سكن سنين طويلة مصر فاستهزَّتهُ تواريخها واحوالها القديمة والحديثة وابنيتها الجبَّاريَّة ومآثرها العديدة فنبذ كل الشواغل التي كان من شأنها ان تلهيهُ عن معرفة وادي النيل وعجائبهِ المختلفة فتفرَّغ لدرس الرسوم الهيروغليفيَّة وتردَّد الى المتاحف الفنيَّة وآلف اساطين العلوم المصريَّة حتى برع في معرفة حضارة المصريين القديمة فكتب في المجلَّات والمعاجم عدَّة فصول استوقفت

انظار العلماء بدقَّتها. وها عرفنا قد اتحفنا بكتاب اوسع جمع فيهِ اوصاف مصر وعجائبها ومآثرها القديمة او المكتشفة مؤخرًا مع بيان اخبارها وتواريخها وذلك على طريقة سهلة مبهجة يستلذُّ منها القرَّاء سواء كانوا من العلماء لفوائدها الجمَّة وضبط معلوماتها او من اواسط القوم لحسن انشاء كاتبها وتفنُّنهِ في الكتابة. فيرافقون المؤلف في سياحتهِ بكل رغبة ويتَّخذونهُ كدليل خرّيت يحيي في عينهم مصر الفراعنة مباشرةً بمنف واهرامها ومدافنها ومساطبها المجاورة لها كسقّارة ثم الآثار الواقعة بين مصر الى ثيبة كبني الحسن وتلّ العمارنة ومدفن ابيدوس ثم الصعيد وهياكله كالاقصر وكرنك ودير البحري ومدينة هبو. وكل هذه الاوصاف مقرونة بتصاوير شمسيَّة متقنة تمثل في اعين القارئ ما يمثلهُ الكاتب بقلمهِ لمخيلتهِ ومشاعرهِ مع ما ينقلهُ من كتابات قدماء المصريين المدوَّنة على تلك الآثار فكأنهم يقومون من قبورهم ليوقفوا اهل عصرنا على احوالهم السالفة. وفي آخر الكتاب فهرس محكم لموادهِ. فشكرًا لمصنف هذا التأليف وافادنا الله زمنًا طويلًا بمصنفاتهِ العلميَّة

ل. ش

مختصر تاريخ لبنان لطلبة المدارس

تأليف لحد صعب خاطر

طُبع بالمطبعة العلميَّة ليوسف صادر في بيروت سنة ١٩١٤ (ص ١٨٤)

هذا اول كتاب مدرسيّ صدر الى يومنا في تاريخ لبنان. فقد تصفَّحناهُ بكل شوق فتحقَّقنا انَّ مؤلفهُ من اصحاب الذكاء والتروّي وكثرة الاطّلاع وحسن الذوق. وقد وجدنا في الكتاب صدى كثيرٍ من الابحاث التي افاضت فيها سابقًا مجلَّة المشرق فاستفاد المؤلف منها وقد سرَّنا أنَّها مهَّدت لهُ الطريق لوضع كتابهِ. وافتتح القسم التاريخي من تأليفهِ بعدَّة ابحاث مفيدة في جغرافيَّة لبنان وحدودهِ واسمهِ وانهارهِ وتربتهِ وحيوانهِ ونباتهِ وصناعتهِ وعادات اهلهِ ولغاتهم القديمة والحديثة واديانهم وطوائفهم. ثمَّ انتقل الى تاريخ الجبل في اطوارهِ الثلثة التاريخ القديم الى آخر الدولة اليونانيَّة ثمَّ التاريخ المتوسّط من الفتح الروماني الى آخر الدول المصريَّة التركمانيَّة وآخرًا تاريخ الفتح العثماني سنة ١٥١٦ الى عهدنا. والمؤلف قد نظَّم كتابهُ على طريقة السؤال والجواب ولم يدع بحثًا مهمًّا الَّا خاضهُ واختصرهُ وحكم فيهِ بانصاف

وحرّيّة. ولا عجب ان يكون وقع في هذا الكتاب بعض شوائب لم تبخس شيئاً من قدره وانّما يحسن بالمؤلف ان يعمل النظر في كتابهِ ليزيدهُ ضبطاً واتقاناً فيصبح ركناً لعلم التاريخ الوطني في مدارسنا. وممّا يجب اصلاحهُ ما قيل (ص ٥٧-٥٨) عن حروب يوستيانوس الاخرم والمردة فانّهُ لا اساس لهُ في التاريخ الصحيح. وكذلك لم يبقَ في لبنان امراء مردة بعد القرن السابع وعليهِ لا يجوز نسبة الحروب الاربع اليهم بعد خروج الفرنج من الشام (ص ٧٤). وكذلك وهم جناب المؤلف بقولهِ (٢٧) ان اوّل مطبعة لبنانيّة في قزحيّا تاريخها سنة ١٥٨٥ وانّما تاريخها سنة ١٦١٠ ولا يعرف من هذه المطبعة الأكتاب واحد وهو كتاب المزامير بالسريانيّة والكرشونيّة. ثمّ عليهِ ان يزيد على اللغات الشائعة في لبنـان اللغة الاشوريّة ومنها مراسلات تل العمارنة من كتابات امراء سواحل لبنان الى ملوك مصر. وقد وقع اغلاط اخرى في الاعـلام كجيفرتا (ص ٤٨) والصواب جيفرتا. وكالاريوطيون (ص ١٨١) والصواب الايطوريّون. والكتاب ينتهي بذكر حكومة لبنان الجديدة بعد سنة ١٨٦٠ الى عهد دولة المتصرّف الجديد اوهانس باشا يليهِ بعض ملحقات في المجلس اللبناني الكبير والسلك القضائي وتقسيم لبنان الاداري وجنديّتهِ. فنشكر مؤلف هذا الكتاب شكراً صادقاً ونتمنّى لكتابهِ رواجاً كبيراً ل. ش

سعادة الشبّان بطهارة الابدان

بقلم يوسف ابي كرم البرمّاني

طُبع في المطبعة الانطونيّة ببعبدا (لبنان)

قد قال الاقدمون انّ كمال المرء ان يجمع بين العقل السالم والجسم السالم. ولا يسلم الجسم الّا اذا نبذ الشهوات البدنيّة المحرّمة وحفظ بكل حرص طهارة الفؤاد ولمّا رأى جناب مؤلف هذا الكتاب تهافُت بعض اغرار الشبّان على الثمرة المحرّمة فأُصيبوا ببلايا عديدة دنّست امام الله نفوسهم البارّة وعرّضت ابدانهم الى اسقا مهلكة دفعت بهِ حميّتهُ الى تصنيف هذا الكتاب ليعظّم موهبة الطهارة ويقبّح الدعارة ببيان عواقبهـا السيّئة. فنيّةُ الكاتب حسنة شريفة لولا انّهُ مسّ ذا الموضوع اللطيف مسيس الطبيب لمرضٍ مُعدٍ او الجرّاح لقرحة شنعاء وكلاهما لا يقو بعملهِ الّا في معاهد سرّيّة لئلّا تفشو العدوى وتنبعث رائحة القرح النتنة. فما كا

احرى بالمؤلف ان يتحاشى في كتابهِ المرجه لافادة الشبّان كثيرًا مّما كتبهُ هناك من اخبار الفجور واوصاف الامراض الزهريّة التي تهيّج اهواء الشبيبة اكثر من ان تخمدها. وعليهِ لا يحسن وضع هذا الكتاب الّا بكل تحفّظ في ايدي الناشئة لئلّا يأتي بعكس المقصود ولا ننكر انّ في الكتاب صفائح حسنة تنفّر الشبّان من اهواء قلوبهم الّا ان صفحات غيرها تعلّم كثيرين ما يجهلونهُ لحسن طالعهم وتفاهم وجودة تربيتهم. وقد وُضعت في هذه السنين الاخيرة كتب حسنة كتبها رجال افاضل في هذه المواضع بكل هيبة وتقيّة فكان الاولى لو ترجمت الى العربيّة. وممّا استحسنّاهُ كتابٌ لسلفانوس استاول نقلهُ في مصر سليم افندي الخوري عنوانهُ « عفّة الاولاد » يحسن وضعهُ في ايدي الاحداث اذا نشأوا واماتهم خطر فقد طهارتهم. وقد اثنينا على كتاب آخر في الشرق سنة ١٩١٢ (١٥: ١٥٦) عنوانهُ « تهذيب العفّة » (l'Education de la Chasteté) لابوين يسوميين ل. ش

دموع الامى

جُمعت بعناية الياس افندي نقولا الظاهر

طُبع في بيروت مطبعة جدعون سنة ١٩١٤ (ص ٣٣)

لم ترقأ الدموع التي افاضها الوطنيّون تأسّفًا على فقيدي الفنّ والوطن الطيّارين « فتحي وصادق ». فتخليدًا لذكرهما اهتمّ الاستاذ الياس افندي نقولا الظاهر بجمع ما جادت بهِ اقلام الادباء نظمًا ونثرًا عند وقوع ذاك المصاب الاليم. وقد ظهر من هذا المجموع كرّاسهُ الاوّل على نفقة توفيق افندي كبوش صاحب مكتبة التوفيق

برنامج جمعيّة طوبيا البار المارونيّة

عن سنتيها (منتصف ١٩١١ الى غاية ايلول ١٩١٣)

هذه الجمعيّة تقوم باحد اعمال الرحمة الجسديّة التي يجازيها الربّ بفيض بركاتهِ على اصحابها وها هي تُعنى بذاك العمل المبرور منذ ثلاثين سنة بثبات ومزيد نشاط. وقد افادتنا لجنتها العاملة في مقدّمة البرنامج انها « قامة بتأسيس مكتبة بديعة جعلت موقعها في غرفة كبيرة الى جانب كنيسة القديس مارون قصد ان تخدم بها روّاد العلم. ثمّ ذكرت ما تبرّع بهِ عليها المحسنون من المطبوعات وقد ساءنا أنّا وجدنا في جملتها كتبًا لا تليق بمكتبة كاثوليكيّة كبعض روايات غير مهذّبة ودواوين عشقيّة

كمجنون ليلى ومدح النسيب وكتب دينيَّة غير كاثوليكيَّة كصلوات الثناء للنبهاني. فهذه الكتب وغيرها وان كانت هدايا لا يجوز نظمها في مكتبة عمومية ل.ش

هدايا أُرسلت الى ادارة المشرق

١ قرار اللجنة المارونيَّة الرئيسيَّة لتنسيق حفلات يوبيل غبطة السيّد الجليل مار الياس بطرس الحويّك بطريرك انطاكية وسائر المشرق

٢ مناشير رعائيَّة بنسبة الصوم لنيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني في حرّية الضمير . ولغبطة بطريرك الطائفة المارونيَّة في التواضع المسيحي .ولغبطة مار عمّانوئيل يوسف توما بطريرك بابل على الكلدان في واجبات العائلات المسيحيَّة

٣ ينبوع السلوان من فوائد الغفران نشرهُ احد المتعبدين للانفس المطهريَّة (في مطبعة الاجتهاد في بيروت ص ٣٢)

٤ تقرير جمعيَّة المعارف لسنتها الثانية مع قانون هذه الجمعيَّة التي غايتها نشر المعارف في الطائفة الدرزيَّة

٥ تأبين المرحوم الطيب الذكر فارس شاهين كرم للخوري يوسف المشيقي (في المطبعة الكاثوليكيَّة . بيروت ص ١٦)

٦ اشجى النشيد في رثاء ابي الرشيد . مجموع مراثي المغفور لهُ الشيخ يوحنَّا راشد نجيم جمعهُ جبور افندي حريقة (في المطبعة اللبنانيَّة ص ٢٠)

٧) الحكم في البنت المصريَّة او عن محكمة بداية قضاء الفنون الجليلة (المطبعة اللبنانيَّة ص ٢٠)

شذرات

الفرنج في مدارس عرب الاندلس — في مقالة عنوانها آثار الساميين صدرت في شهر آذار المنصرم في مجلة الهلال أتسع جرجي افندي زيدان في ذكر ما للشرقيين من الفضل على اهل الغرب. فباشر بذكر آثار الفينيقيين ثم المصريين ثم انتقل الى آثار الساميين العلميَّة بعد الاسلام وافتتح هذا القسم بفصل عنوانهُ « ما تعلَّمهُ الافرنج في مدارس العرب » وزعم هناك (ص ٤١١) « انَّ طلَّاب العلم من الاسبان والايطاليان والانكليز والفرنساويين وغيرهم كانوا يتزاحمون في مدارس العرب » و « ان الافرنج استفادوا من تلك المدارس فوائد علميَّة وادبيَّة لا ينكرونها » وخصَّ بالذكر « البابا سلفستر الثاني في القرن الحادي عشر للميلاد قبل ان يصير حبرًا وكان اسمهُ جربر » الخ وقد احال الكاتب الى كتابه التمدن

الاسلامي فراجعناه لننظر الى اي سند يسند زعمهُ فلم نجد شيئاً مما كنا نؤمله . فما بقي لنا الا أن نطلب من منشئ الهلال ان يجيبنا في مجلتهِ فيعيّن لنا كتب العرب التي اعتمدها لذكر هذا الامر الجلل فاننا راجعنا كتب تواريخ الاندلس لابن بشكوال وللضبيّ وللقاضي صاعد الاندلسي ولابن الأبار وللمقّري فلم نجد اثراً لزعمهِ. امَّا قولهُ عن البابا سلفستر الثاني فقد نقلنا سابقاً في المشرق (١٥ [١٩١٢]: ٣٦٦) شواهد العلماء تفنيداً لقول الزاعمين بأنهُ درس في مدارس العرب في اسبانية . فان كان لصاحب الهلال حجّة منافية لقولهم فليتكرَّم بها علينا والّا لصحَّ لنا القول بانهُ يرمي الكلام على عواهنهِ ويكتب دون تروٍّ ليتزلَّف الى قرَّائهِ المصريّين بتضحية حقوق التاريخ . امَّا اذا استند الى كتبة من الفرنج فلا بُدَّ من تعريف اولئك الكتبة لان كثيرين منهم لا يعوَّل على شهادتهم كسيديليو وامثالهِ الذين يهرفون فيما لا يعرفون وزيّف المحدثون مزاعمهم ولا نقول ذلك لننكر فضل العرب وانَّما نريد ان تُثبت الحقائق التاريخيَّة بالبراهين لا بالاوهام والتخيُّلات

❊ اشارة الصليب والاشارات الماسونيَّة ❊ منذ كتب جرجي افندي زيدان تاريخهُ (بل قل رومانهُ) العمومي للماسونيَّة لم يزل يطلب للعشيرة حجاباً ينفي عنها سوء ظنّ الناس بحفلاتها السرّية فلم يجد لذلك غير اعمال المسيحيين الاوَّلين في عهد المضطهدين حيث كانوا يجتمعون في الخفية لاقامة رتب ديانتهم . وزعم في عددهِ الاخير (مارس ١٩١٤ ص ٤٥٦) « ان النصارى بدأوا يرسمون علامة الصليب في اوائل القرن الثاني للميلاد » وانهم « جعلوا تلك العلامة سرّية يتعارفون بها نحو تعارف الماسون باشاراتهم » الى ان قال : « وكانوا اذا انضمَّ اليهم عضو جديد يقسم انهُ لا يكاشف باسرارها غير المستحقين وكانت تلك الاسرار طبقات يتدرَّج فيها الطالب مرتبةً بعد اخرى ولا يطَّلع على كلّ تعاليم الديانة المسيحية الَّا اهل الدرجات العليا وكانت لها علامات واشارات سرّية اشهرها اشارة الصليب » فترى من هذا الوصف انَّ جرجي افندي زيدان يعدُّ النصرانيَّة الاولى اشبه شيء بالماسونيَّة فلا ندري كيف لا يستنكف جنابه عن كتابة كهذه وهو يعرف انَّ بين الماسونيَّة والنصرانيَّة فرق الثريّا والثرى وانَّ استخفاء النصارى الاوَّلين كان موقَّتاً عملاً بالفطنة لا خبثاً وانَّ علاماتهم كانت كلّها مقدَّسة لا يستحيون منها

ولاسيا اشارة الصليب التي كتب آباء القرن الثاني والثالث في نوعها ومعناها وافادنا ترتليان (De corona militum, III) انّ لاشارة الصليب راقية الى عهد الرسل وانّ النصارى في عهدهِ كانوا لا يأتون امرًا الّا رسموا اشارة الصليب في بيوتهم او خارجًا عنها حتى اذا اكلوا او شربوا او استحمّوا فكفى بذلك دليلًا على انّ النصارى لم يخفوها وان كانوا احيانًا لم يجاهروا بها بلا موجب. وكذا قل عن درجات التعليم لطالبي التنصُّر وعن درجات الكهنوت فانّها والدرجات الماسونيّة على طرفي نقيض. فان تلك التعاليم كان رؤساء الكنيسة يسلّمونها تدريجًا على مقتضى حاجة المتنصّرين وطلبة الكهنوت كما تفعل الكنيسة في عهدنا لا خوفًا من مضامينها السريّة او السمجة كما يفعل الماسون في عهدنا ليستروا اعمالهم المستقبحة. (راجع ما قلنا في ذلك في كتابنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون)

التأليف في فرنسة سنة ١٩١٣ هذه قائمة الكتب الجديدة التي ظهرت في فرنسة في العام الماضي: في علم الاقتصاد والعلوم الاجتماعيّة ٢١٦٤ كتابًا. في التعليم ٩٢٢ك. في العلوم الدينيّة ٨٦٢ ك. في العلوم التاريخيّة ١٢٦٣ ك. في الجغرافية والاسفار ٤٢٨ ك. في العلوم الرياضيّة والطبيعيّة ٥٤٩. في الطبّ ٧٣٥. في الفنون والصنائع ٢٩٠. في الآداب ٢,٢٣٦. في اللغات الاجنبيّة ٢٠٦. شتى ١٦١٥. فيكون مجموع هذه التآليف ١١,٥٦٠ كتابًا طلب اصحابها حفظ حقوقهم رسميًا لدى الدولة

اثر تاريخي نشرت بعض الجرائد والمجلّات المحليّة خطًّا شريفًا كتبهُ السلطان سليمان خان المعروف بالقانونيّ في تاريخ اوائل ربيع الثاني سنة ٩٣٢ ﻫ الى ملك فرنسة فرنسيس الاوّل يعدهُ فيهِ بالمساعدة على اعدائهِ. فسرّنا الوقوف على هذا الاثر الجليل لكنّنا كنّا وددنا لو قدّم عليهِ ناشروهُ المقدّمات الوافية لبيان اصلهِ وفصلهِ وهل هو عربيّ اللهجة كما نشروهُ او هو تركيّ الاصل وفي خزانة اي دولة موجود اصلهُ لنستطيع مراجعتهُ وغير ذلك من الافادات التي لا غنى عنها. وقد وقفنا على ترجمتهِ الفرنسويّة في مجموع البارون دي تستا (١ فوجدنا اختلافًا بينها وبين النصّ العربيّ

(١) اطلب (B^on de Testa: *Traités de la Porte Ottomane avec la France*, 1, 28)

مَنا تَقِيل فَرِس هي الكلمات الثلث التي كتبتها يدٌ سرّيّة على جدار قصر الملك بلشصَّر وهو يستسلم الى الملاذ ويشرب الخمر في آنية هيكل اورشليم فلم يستطع احد ان يقرأها غير دانيال النبي الذي انذرهُ بسقوط عاصمتهِ في ايدي اعدائهِ الماديين (سفر دانيال ف ٥). وهي تُعَدّ من اعظم نبوّات دانيال. فأخذنا العجب من مجلّة « فتاة لبنان » الحديثة كيف نقلت عن غيرها هذا الحدث الجليل ونفت عنهُ كل مسحة المعجزات (ص ٤٥–٤٦) فنسبت تلك الكتابة « لاحد المصوّرين الفرس » رسمها على الحائط « في حال ذهول الحضور » حيث « كان الجميع في تلك الليلة ثملين » . وكذلك لم تجد شيئاً عجيباً في فهم دانيال وتفسيرهِ تلك الكتابة لانهُ على قولها « كان عالمًا بقرب مجيء الماديين والفرس » فمن العجب انَّ دانيال كان يعلم بامر يجهلهُ ملك بابل وذووهُ .. أَبهكذا تبيّن لنا فتاة لبنان روحها الكاثوليكي !. — ومن اقاويلها المردودة في الصفحة التالية (ص ٤٧) قولها « ان العلم ليس لهُ دين » كأنَّ الدين ليس هو رأس كل العلوم وكأن الدين والعلم لا يصدران عن مصدر واحد هو الله سبحانهُ وتعالى.

محاكمة التنير

وعلاجُ الابدانِ أيسرُ خطباً حين تعتلُّ من علاجِ العقولِ

كنّا حسبنا انَّ الحكم الذي اصدرتهُ محكمة بداءة الجزاء في بيروت على التنير يردُّهُ عن غيّهِ لكنهُ رآهُ خفيفاً في جانب ذنبهِ الفظيع الذي يستحقّ اضعاف ذلك فظنَّ ان الحكومة السنيَّة موالية لهُ راضية عن عملهِ سرًّا فعاد مثنى وثلاث الى سفاهتهِ بل قُل الى حماقتهِ حتى ان حضرة قومندان الرقع ذكي بك افندي روكيل دولة والينا لم يجد وسطاً لمجازاتهِ بين الحبس او مستشفى المصابين بالجنون فكنّا نودّ لشرف التنير ان تُلقى عنهُ تبعة عملهِ فيختم الاطبَّاء على مسِّهِ بعقلهِ. وعلى كل حال لم يعد في طاقة المسيحيين ان يصبروا على مثل هذه القحة او هذا الجنون بعد كتاباتهِ الشنيعة المرقومة بقلمٍ غمّهُ في مقذار البواليع فدنّس عرض افضل عبيد الله اعني الراهبات القائمات بتربية كريمات اشراف بيروت من نصارى ومسلمين وبذلك حاول التفريق بين عناصر الدولة في وقت نحن في امسّ حاجة الى جمع الكلمة. فأملنا من ارباب الامر ان يصلحوا الفساد قبل ان يستشري والّا لكان الخطب عظيماً

اسئلة واجوبة

س سأل احد القرَّاء في الثغر ما هي الصورة « جوكوند » التي سُرقت من متحف اللوفر فعُرف السارق وردَّت الى اصحابها

الصورة جوكند

ج هذه الصورة لاحد كبار المصوّرين ليونردو دي فنشي الفلورنتي (١٤٥٢— ١٥١٩) اشتغل في تصويرها نحو اربع سنوات فانتهى منها سنة ١٥٠٠ وهي تمثل قرينة احد اعيان ايطالية السيّدة ليزا امرأة فرنشكو دي جوكوندو فعُرفت الصورة باسم جوكوند (la Joconde) وقيل انَّها بيعت لملك فرنسة فرنسيس الاوَّل باثني عشر الف فرنك. ومع دروس بعض محاسنها لا تزال موضوع اعجاب العارفين بالفن

س وسأل مستفيد هل من شريعة كنائسيَّة تحرّم على الموارنة قراءة الكتب المنافية للايمان وللآداب

الموارنة والكتب المحرَّمة

ج ان للموارنة فضلًا عن الشرع الطبيعي الذي ينهي عن قراءة الكتب المنافية للايمان والآداب شريعةً أُخرى وضعيَّة نصَّ عليها اوَّلًا مجمع البطريرك سركيس المنعقد سنة ١٥٩٦. فقانونهُ العشرون هذا منطوقهُ :

« لمَّا كان تداول كتب الاراطقة والشاقين بين ايدي المؤمنين السذَّج مضرًّا شديد الضرر بنفوسهم وجب البحث عن هذه الكتب وحفظها لدى البطريرك في مكان مُغلق ولا يأذن بمطالعتها الَّا للعلماء وكبار اللاهوتيين الذين يقتدرون على التمييز بين الصحيح والباطل »

ثمَّ عاد المجمع اللبناني وميَّز بين الكتب التي تحتوي بدعةً فوضع الحرم على من يتداولها امَّا سواها من الكتب الفاسدة فجعل الحكم في معاقبة متداوليها للرؤساء المحلّيين وهذا نصُّ كلامهِ (ص ٢١ من الطبعة الجديدة) :

« والذين يطبعون او ينسخون او يقرأون او يقتنون كتب قوم مبتدعين تحرّمها الكنيسة لاشتمالها على بدعة او مظنّة تعليم كاذب او ما يؤيد جانب بدعة بايّ وجهٍ كان تحلّ بهم عقوبة الحرم المحفوظ للرؤساء المحلّيين. اما الذين يقرأون او يحرزون كتبًا محرَّمة لكنها لا تحوي بدعةً ما فينبغي ان يُنزل فيهم من العقوبات ما يحكم بهِ الرؤساء المذكورون »

س سؤال لاحد اساتذة النحو يلقيهِ على القرَّاء

ما اسمٌ اذا نصبتَهُ رفعتَ ما يُنصَبُ بهِ
ولا يَتمُّ نصبُهُ الَّا بجرِّ سببِهِ